دلالة المكان في قصيدة النثر

* دلالة المكان في قصيدة النثر
«بياض اليقين» لأمين اسبر أنموذجاً
* د. عبد الإله الصائغ
* الطبعة الأولى ١٩٩٩
* جميع الحقوق محفوظة للناشر ©
* **الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع**
سورية - دمشق - ص.ب: ٩٥٠٣ - هاتف: ٣٣٢٠٢٩٩ - فاكس: ٣٣٣٥٤٢٧
تلكس: ٤١٢٤١٦ - بريد الكتروني: ahali@cyberia.net.lb
* التوزيع في جميع أنحاء العالم:
* **الأهالي للتوزيع**
سورية - دمشق - ص.ب: ٩٢٢٣ - هاتف: ٢٢١٣٩٦٢
فاكس: ٣٣٣٥٤٢٧ - تلكس: ٤١٢٤١٦

ع - ١٩٩٩/٨/١٤٢٣   ١ - ٨١١,٩٠٠٩   ص ا ي   د
٢ - العنوان   ٣ - الصائغ   الأهالي - مكتبة الأسد

د. عبد الإله الصائغ

دلالة المكان في قصيدة النثر

«بياض اليقين» لأمين اسبر أنموذجاً

الأهـــالي

أول البياض
تمهيد في :

* إشكالية الجنس .
* إشكالية الشعرية .
* إشكالية الإيقاع .

" **بياض اليقين** " نصوص مشاكسة لمألوف اليقين ، فهي تحرث في جرانيت التقاليد الشكلانية برمّاناته المخبّأة ، لتبذر في البؤر المحروثة بزر الشعرية !! والمشاكسة وجهان : دلالي وجمالي ، وبنيتان : داخلية وخارجية ، اما اللاحق من فرزة شغلنا ، فقد تكفل بتحليل نصوص البياض !! مدخلاً لجهدنا .. ، والسؤال هو : وما مسوّغ وضع (بياض اليقين) في بودقة التجنيس ؟ والجواب المقترح ليس أمراً متيسراً إذا لم نصبر على قراءة إشكاليات : الجنس والشعرية و الإيقاع .

إشكالية الجنس
إشكالية الشعرية

أشار أفلاطون (ت 347 ق . م) إلى التجنيس الأدبي ، لكنه لم يحدد مفهوماً محدداً لمقولة الجنس ، بينا قال أرسطوت 322 ق . م شيئا في الإجناسية الأدبية! فإذا كان الشعر محاكاة أو محاكاة المحاكاة فهو قبل هذه وبعدها ، أجناس من نحو : شعر الملاحم ، والمأساة ، والملهاة ، والديثرمبوس(1) ، وقد استبعد أرسطو الشعر الغنائي ، لأنه رآه أدخل في جنس الموسيقى !! وحسناً فعل !! بيد ان التقسيمات الأرسطية ، مبنية على الحدس والجدل ، وقد لا يجد القارئ المدقّق ذلك الوضوح المطمئن الذي يعتده ضالته ، لأن الفن الذي يحاكي باللغة ، عند أرسطو نوعان : نثر وشعر (2) .

ان الجنس genre عند انيتا كفن حالة مختلفة ، فالأدب

1ـ ارسطو طاليس . فن الشعر . ترجمة د . عبد الرحمن بدوي. طـ دار الثقافة : بيروت 1973 ص 3 : الديثرمبوس : نشيد يتغنى به في أعياد باخوس إله الخمر وقد نما وتطوّر حتى اصبح فنا شعريا قائما بخصائصه ! والنشيد في الأصل كان موضوعا لتتغنى به جماعة السكارى على هيئة كورس .
2ـ نفسه ص 5 .

عندها اثنان حسي وروحي (3) وهذا الرأي يمثل قسر المثال على القاعدة ، فالحسيّة والروحية داخلتان في الفروع بعيدتان عن الأصول !! وربمّا اتضح المقصود بالجنس في الربع الأول من هذا القرن الصاخب ، مع ظهور الأصوليات العرقية المتجلببة بـ : الوطنية أو القومية ، التي أسس لها ودشّنها الحزبان : النازي الألماني والفاشي الطلياني !! وهي اصوليات قائمة على صفاء الدم والأرومة ، وان لكل جنس خصائص ينماز بها ، تحدد مقدار شرفه وعلوّه فوق مراتب الآخرين (كذا) ! فاستعيرت هذه الأصولية للأدب ، ثم تجلببت بلبوس العلم والمنطق الأكاديمي لإسكات الأصوات القائلة بوحدة الفنون.

3- Lois Anita Giffen : Theory of profanlove among the arabs The - Development of the genre - New York - university press - N D .

وتعدد مفهومات الجنس حالة لا تشكل خطرا على المؤسسة الاصطلاحية إذا نهضت على تاسيس نظري يوضّح الغاية فالدكتور عبد الله الغذامي يقول (انظر كتابه القصيدة والنص المضاد ص 146 وبعدها انظر مبحث رقم 5 : التكاذيب بوصفها جنسا أدبيا . طبعة المركز الثقافي العربي . بيروت 1994) : (وتاتي (التكاذيب) لتكون فرعا لذلك الأساس وهي هنا جنس أدبي ينافس الأجناس الأخر كالشعر والرواية وكلها فروع لأصل واحد...).

وقد استقرأ الأستاذ الغذامي حشدا من آراء خبراء الجنس أو مبدعي الأجناس الأدبية قبل أن يقيم اقتراحه !!

الشعر اذن جنس ، والنثر جنس ، وهما مثـــل خطيـــن متوازيين قدّر عليهما ان لا يلتقيا مهما امتدّا !! وكمـــا يســـمح للجنس الألماني بالتجاوز والتزاوج داخل حدوده ، فقد سمح مثلا لأنواع الشعر بالتداخل والتكامل ، وسمح لأنواع النـــثر الفنـــي بمثل ذلك ! واشتدت العصبية للتجـــنيس حتـــى غـــدا الجنـــس الأدبي ، علماً له مقدماته ، وقوانينه ، وتطبيقاته ، بل غدا كمـــا يقول د . حاتم الصكر ، موجهاً من موجّهات القـــراءة (4) وإذا تصالح الدارسون على أهمية التمييز بين الأجناس ، فقد اختلفوا في ملفوظ الجنس ومحمولاته ، فأيّهم الأكبر وأيّـــهم الأصغـــر وأيهم الأقرب وأيهم الأبعد ؟! الجنس genre أم الفن art أم النوع Kind أم الشكل Form ... الخ ؟؟!

استناداً إلى هذه المشكلة تمثـــل قصيـــدة النـــثر حالـــة مروق لا تشاكل الشعر ، ولا تشاكل النثر ، وهي تأسيس يمثل جَـــلداً مُتـــلِفا لجسم الشعرية الحيّ ، حتى زعم ان قصيدة النثر جنس مخنث أي (منفعل) بنفسه مثل الحيّة ، فيه صفات الشـــعر

4ـ الصكر . د . حاتم . مرايا نرسيس ص 16 طب المؤسســـة الجامعيـــة للدراســـات : بيروت 1999 .
وأنظر : البقاعي د . شفيق . الأنواع الأدبية مذاهب ومدارس ص 169 . طـــب مؤسســـة عز الدين : بيروت 1985 .

وصفات النثر معاً .. وتنبّه الشاعر الرائد حسين مردان رحمه الله مطلع الخمسينات إلى هذه الإشكالية ، فأطلق على قصائده النثرية " النثر الفني المركز " ، وحين عاتبه مريدوه قال بسخريته المعهودة : هي بردعتي أضعها على أي حمار شئت!!.

وتنبّه كذلك الشعراء الحداثيون الجدد إلى الإشكالية ذاتها ، فرضوا بإطلاق (نصوص) على قصائدهم النثرية !! وإذا كان التجنيس ممكناً دون منغصات في شعرية الأنواع الأدبية في الغرب ، فإن أمره مستعص على ادبنا العربي الباذخ !! وقد ورد في لسان العرب (جنس) : الجنس الضرب من كل شيء ، والجمع أجناس وجنوس ، والجنس أعم من النوع ، ومنه المجانسة والتجنيس . ويقال هذا يجانس هذا أي يشاكله ، والحيوان أجناس ، فالناس جنس والإبل جنس والبقر جنس !! .

وثمة مرادفة بين جنس و سنخ اللسان ثانية (سنخ) : السنخ الأصل من كل شيء والجمع أسناخ وسنوخ!! .

اما مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد نصّ على ان الجنس هو الأصل ، وهو النوع في اصطلاح أهل المنطق،

وهو أعم من النوع ، فالحيوان جنس والإنسان نوع (5) .

ووجد مجدي وهبة وكامل المهندس ان الجنس genre هو أحد القوالب التي تصبّ فيها الآثار الأدبية ، فالمسرحية مثلا جنس أدبي وكذا القصة وهكذا ... ومن عهد النهضة باوربا حتى أواخر القرن الثامن عشر ، كان الاعتقاد شائعاً بأن كل جنس يتميز تميزاً واضحا عن غيره من الأجناس الأدبية . كما أنه يخضع لقواعد خاصة به لا بدّ للأديب أن يتقيّد بها ، وفي أواخر القرن التاسع عشر طبق الناقد الفرنسي فرديناند برونتير نظرية التطور على الأجناس الأدبية (6) .

ونرجّح ان هذه الإشكاليات المحيقة بالتجنيس دعت د . عبد النبي اصطيف إلى الجهر بتحديث الأجناس الأدبية ، لكنه استدرك بقوله (إن الوعي بهذه الأجناس على مستوى النقاد العرب والقراء العرب لم يبلغ بعد درجة مرضية وكافية للإقدام على تحديث هذه الأجناس!!(7) ولعل الجاحظ هو أول من استعار الجنس للمقولات الأدبية ، مُنَفِضاً عنها الغبار

5ـ ابن منظور ت 711 هـ . لسان العرب . طب دار صادر : بيروت .

ـ مصطفى . إبراهيم وآخرون . المعجم الوسيط . طب دار الدعوة . استانبول .

6ـ وهبة . مجدي . وصاحبه . معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص 141 طب مكتبة لبنان 1984 .

7ـ إصطيف . د . عبد النبي . نظرة في تحديث الأجناس الأدبية ص 36 مجلة الناقد لندن . العدد الثامن . فبراير 1989 .

القاموسي ، حين قال " الشعر صناعة وضرب من الصياغة وجنس من التصوير " (8) ولم ترد (جنس) بشحناتها الجمالية والتشريحية في أدبيات العصر الجاهلي ، في حدود علمنا المتواضع !! .

فقد بدأت الشعرية الأدبية في بواكير العصر الجاهلي سجعاً يتداوله الكهان والخطباء والزعماء ، ثم ضاق المتلقون ذرعاً برتابة السجع وهلهلته ، فدشنت الشعرية عهد ذاك خطوة جديدة للأمام ، فجاء الرجز الذي يمثل تطوراً نوعيا للسجع وإنما سمّي رجزا لإضطرابه ، وقد التفتت الذهنية الجاهلية إلى إشكالية الرجز بوصفه شعراً ، وهو يخرج من رحم السجع بوصفه نثراً !! فأخرجت الرجز من الشعر ليقرّ الأدب الجاهلي على رجز وقصيد ونثر فني ، فالرجز منزلة بين منزلتين ! ثم حدث التداخل الآخر بين الأنواع ، حين تماهى المثل السائر مع الشعر، فالشعر يفكك نثرية المثل (الشفاهي) ويصبّها في قوالبه ، والمثل بهذه نثر في حاضنة الشعر اما المثل فهو ذو فاعلية أكيدة جذبت الشعر إلى حقل النثر .

8ـ الجاحظ . ا بو عثمان عمرو بن بحر ت 255 هـ . 444/1 تح : فوزي عطوي 1968.

فإذا أشرق الإسلام واضاء القرآن الكريم عتمات المكان والزمان والنفس حصلت إشكالية جديدة !إشـــكالية إجناســية ، فالقرآن ليس شعراً ولا نثرا ولا زمزمة كما يقول الوليـــد بـــن المغيرة !!وهكذا توفرت الخبرة الأدبية على ثلاثة أجناس هـــي الشعر والنثر والقرآن !! ثم ظهرت في العصـــــر الأمـــوي .. الفترة المندغمة مع العصـــــر العباســـي إشـــكالية الموشـــحات الأندلسية ..وبؤرتها(الخرجة)وهي كلام نـــثري لـــهجوي أو أعجمي يقفل به الموشح أغصانه .. مما ضيق الهوّة بين الشعر والنثر مرة أخرى .

فأيّ غرابـــة في أن يضم الشعر قصيـــدة النـــثر فـــي حاضنته ، وتراثنا فعل هذا قبلنا دون حـــــرج ، وثمـــة دائمـــا الشعرية التي تقرّ في ضمير النص بؤرة للجمال والابتكــــار ، ولسنا مضطرين إلى تنصيص مصطلحها الناتئ(قصيدة نــثر) فقد رأينا شعراً بلا شعرية مثل ألفية ابن مالك ، وشعرية بــــلا شعر مثل اللوحة التشكيلية ، فإذا لم يكن التنصيص موافقا لتقاليد القصيدة الجاهلية(عمود الشعر)، فهو موافق لحرية الشــــعر الحديـــث ، وبخاصة نمط الشعر الحر Free Verse وهو أمـــر يمثل حالة من الانزيـــاح عن مصطلح الشـــعر الحر ، والشعر

المنثور Prose poems ، أو النثر المشـــعور Poetic prose (9)
وربمّا يكون المصطلح العربي ، أدخَـــلَ في روع الأجناس من المصطلح الإنجليزى ، فالشعر الحر قائم على أ ــ شعر التفعيلة المكررة ب ــ الشعر المنثور (قصيدة النثر).

وقد جنبنا ذلك منزلق اللبس والتداخل بين المصطلحات!
وعند هذه المسلمة ــ كما يتهيأ لنا ــ يمكننـــا قـــراءة الجـــانب الخاص بالتجنيس الذي قرره د . عبد العزيز المقالح حين قـــال في " **بياض اليقين** " (وإذا كان لا بد من تنسيب هـــذا العمـــل الإبداعي إلى نوع متعارف عليه فهو من صميم الشعر الحر) .
اما د . حاتم الصكر فلم يشأ تنسيب " **بياض اليقين** " إلـــــى أي من النوعين (شعر التفعيلة) و (قصيدة النثر) فجعل البيـــاض منزلة بين المنزلتين (نوع شعري يقع وسطاً بين شعر التفعيلة الحديث وقصيدة النثر) .

---

9 ــ يحياوي رشيد . قصيدة النثر : مغالطات التعريف . ص 54 ــ 76 مجلة علامـــات . المجلد 8 الجزء 32 مايو 1999 . (جدة ــ المملكة العربية السعودية) .

وقد تلبث عدد من الباحثين عند تجنيس بياض اليقين قارن مثلا:

1 ـ عبد اللطيف مجتبى: " **بياض اليقين** كتابة إبداعية وجسد نصي مختلف ، يراهن في شعريته على الخلق ، إذ يعبر فيه كاتبه حدود التقليد وما اصطلح عليه من أشكال الشعر... لا بد من التأكيد على أن مثل هذه النصوص الجديدة تحتاج إلى نقاد جدد كما يقول الشاعر التجاني يوسف بشير . ولا بد من التأكيد على أنه ليس هناك شكل واحد أو اثنان أو .. الخ يمكننا أن نسميه شعراً والذي هو اقتراح واجتراح في الأساس وسبر لأغوار لم تسبر من قبل ، وإلا لم يعد شعراً جديداً أو شعراً ـ مطلقاً ـ فليس الوزن ولا غيره يكمن في الشعر إنما يكمن في تلك المخيلة التي تجعل كل ما دونها أداة لها " **(10)** .

2 ـ د . إبراهيم الجرادي " **بياض اليقين** محاولة رد اعتبار قادرة وأصيلة للقصيدة العربية الحرّة في واقعها الرث " **(11)** .

3 ـ الشاعر إسماعيل الوريث " وليس هنا مكان تصنيف هذا النوع من الشعر ، الذي يرى بعض النقاد بأنه عند تصنيفه ينطوي تحت مظلة الشعر الحر " **(12)** .

---

10 ـ جريدة الشاهد الدولي العدد 76 الاثنين 19 إبريل 1999 .

11 ـ ملحق الثورة الثقافي العدد 164 الأحد 30 / 5 / 1999

12 ـ ملحق الثورة الثقافي العدد 164 في 30 / 5 / 1999 .

4 ـــ ميخائيل عيد " .. ولا يخلو المشهد من شيء من النثرية غير المزعجة لأنها استخدمت استخداماً بارعاً في اغلب الأحيان " (13) .

5 ـــ راشد عيسى : ... " وأتصور " أن الديوان يستحق مثل هذا الاختلاف الجميل فالرؤى في النصوص شعرية محضة ، والنصوص بمجملها تحمل كل مؤهلات الشعر ومعاييره إلا الوزن التفعيلي الظاهر ، وأستطيع تسمية هذا اللون من النصوص " نثيرة شعرية " كحل وسط بصفتي منحازاً إلى الموسيقى الشعرية ولا أستطيع المجاملة الفنية فأقول إنه " شعر حرّ ذو موسيقى داخلية إلى غير ذلك من أوصاف مقدور عليها ، لذلك أرى أن "**بياض اليقين** " شعر محض بصرف النظر عن شكله حراً كان أم نثراً أم بَيْنَ بينْ " .

"إن مثل هذه النصوص تبدع بنيتها تلقائياً ولا تتكئ على معايير فنية ثابتة ، فهي خارج قيود الشكلانية وأطر التسميات التقليدية ، وكان من الممكن أن أصف هذه النصوص بالنثائر الشعرية وصفاً تأكيدياً لأنني من أنصار الإيقاع ، بيد انني في النهاية أنحاز إلى القيمة الفنية العالية في النصوص تلك التي سمت إلى مرقى نوعي في الرؤيا والمعمار فأقول مغلوباً على

---

13 ــ الأسبوع الأدبي العدد 664 في 19 / 6 / 1999 .

أمري أو برضاي أن " **بياض اليقين** " شعر خالص ، فالشاعر ذو ثقافة تاريخية واســعة ، ومطلع على رموز الحياة العربية وطقوس دياناتها وخبير بعلوانيات النفس ومعارجها النورانيـــة الصوفية ، وشاعر تلك ينابيعه هو لا شك قدير على إنجاز نص شعري يتفرد بغموضه الجميل " . (14) .

وها نحن أولاء مطالبون بعد هذه المحايثات التجنيسية ، قول كلام يمثل توصلاتنا .. فلنقل كما قال أعرابي لأبي تمام : إنْ كان كلامك هذا شعراً فكلام العرب باطل !! ويقصد بكـــلام العرب الشعر التقليدي المتداول ، فإذا كان مصطلح قصيدة النثر غلطاً ، وهو كذلك ، فإن مصطلح الشعر العمودي غلط أيضـــاً! لأن المقصود بالعمود هو التقاليد الشعرية أو الحقيقة الشـــعرية القارّة ، فالشعر البيتي (مصطلح أطلقه د . المقالح على الشـعر العمودي) له عموده ، كما أن شعر التفعيلة متوفر على تقاليده أيضاً (عموده) فهو شعر عمودي! وقصيدة النثر متوفرة على تقاليدها وعمودها ، فهي قصيدة عمودية ! والعـــرب تقــول لا مشاحة في المصطلح ، مما يســوّغ لنا تبني مصطلح قصـــيدة

---

14 ـــ عيسى ، راشد . بياض اليقين لأمين اسبر ، مجلة الفينيق العدد 45 ، 15 ذو الحجة 1419 هـ ، 1 / 4 / 1999م

النثر ، مع إقرارنا بعدم استقامة المصطلح و روح اللغة ! ولكنها القوة الضاغطة للمصطلح ، وبهذا الكيف تكون نصوص " **بياض اليقين** " أفانين من قصائد النثر وهي تسعى إلى اكتساب خصوصية لبنيتها الإيقاعية البصرية !! .

إشكالية الإيقاع

ان إيقاع قصائد " **بياض اليقين** " قائم على عروض جديد وهو ما أطلق عليه (العروض البَصَري) الذي يحول الموجات البصرية إلى موجات سمعية ، استناداً إلى قدرة المتخيّل على وضع التماثل في اللاتماثل وفقاً لمقولة ارشيبالد مكليش (15) .

ويمثل مسالك "**بياض اليقين**" في الإيقاع البصري الآتي:

1 ــ التكراران : البصري والدلالي ، المتجليان في تردّد : الحرف أو الكلمة أو العبارة أو الصياغة أو البياض أو النقاط (علامات الترقيم بعامة) .

2 ــ التصاقب المتأتي من : الجناس التلقائي أو الحروف المتشابهة بصرياً مثل د ذ / س ش / ص ض ... الخ فضلا عن تصاقب مخارج الحروف .

3 ــ استثمار المفاتيح الاستهلالية للقصيدة من نحو الاستهلال بحرف جر تنهض عليه البنية الإيقاعية أو الدلالية أو الصورة ومن نحو الاستهلال بفعل .

---

15 ــ مكليش . ارشيبالد . الشعر والتجربة ص 11 . تر سلمى الجيوسي . طـ ب دار اليقظة . بيروت 1963 .

4 ـــ تبادل الأثر والتأثير بين خفاء الغاية وتجليها شكيل ذلــــك التنكير والتعريف والتنافذ بيــن الصــور الواقعيــة والصــور المجازية .
5 ـــ الاتكاء على مرجعية الحواس وحساسيتها بتوظيف الصور الفنية : البصرية والسمعية والشمية واللمسية والذوقية !! فثمــة غالباً شفرات تغذي التلقي الحسي ، لتمنح ذاكرة التلقي شـحنات إضافية ، مركزها المرجعية المشتركة بين النــص وقراءتــه ، وشيء من ذلك مثلا مركزية اللون في صياغات النصوص .
6 ـــ الاجتهاد في طول الشطر الشعري أو قصره ، بما يحقــق رغبة ا لنص في محاكاة معطى اللوحة البصرية !! ثمة غالبــاً دراسة تفصيلية لأطوال الأشطر و تكويناتها وهو أمر يشدّ البنية الخارجية إلى الداخلية لاستنباط بنية ثالثة ناهضة علــى الأثــر البصري التشكيلي !! ولسوف نتلبّث ملياً عنــد هــذا المســلك للأهمية ! قارن : نص " ذاكرة " ص 15 .

جسد النص ... ومادته
رمــوزه ... وأصواتــه
أطــياف من فيوضـــات

أشخاص الفيض الأول

منى : سيدة تضع الماء كل صباح
في مزهرية النور والحياة .

هوازن : طائــرٌ غريدٌ ينضم ،
لهجــرة الأهــل والأصـــدقاء
ردينة : أمـــيــرة بــحـــرية ،
تحمل الميزان وتحلم بالقسطاس

الفيض الثاني

صفاته : الـــرمزيَّـــة
والخَـــصْـــبُ
والحُضُـــور

عنوانــــــه :

عبد العزيز المقالح واليمن ــ
الوفـــاء للمقيـــل والإبـــداع

وفيض ،

رقــمــــــةُ الكــــلّ
يسمو على الأرقـــام
يحملنا أمانة الهوية

ومن أطيافـــه ،

قارئٌ .. في الوطن الكبير
يبـــحـــث عـــن فســـحـــة
من التفكير ...
والرســـم ...
والتعبيـــر ...

المـــادة ...
والرمـــوز ...
والأصـــوات ...
هدايا ... ملكية مشروعة ،
لمن أتذكـــــر .

وقارن نص العاشقة ص 67 .

ـــ ⟵ الحورية
ـــ ـــ ـــ ـــ ⟵ بنت التسعة عشر عاماً
ـــ ⟵ تعشق
ـــ ⟵ جارها
ـــ ـــ ـــ ـــ ⟵ تنيناً من رمل الكلمات
ـــ ـــ ⟵ وملح الزَّبد
ـــ ـــ ⟵ ومشط شعرها
ـــ ـــ ⟵ وفيء قاسيون

— — — ← وتكشف عن نهديها
— — ← كرمال التـــيّن
— ← يالولوة
— — — ← نرجسي نرجسي نرجسي
— — ← هو العاشق
— — — ← لكن لولوة عاشقة
— — — ← عاشقة حتى الموت

ثم قارن زلزال ص 71 فقرة 2 .

برقٌ فظيعٌ مِنَ الغَـــربِ ← — — — —
وزلزالٌ من الصَّمْتِ المُرعب ← — — — —
يمسحُ هَوامش ثمانيةِ عقود . ← — — — —

7 ـ تصاقب ملفوظات الكلمات لتماثل رغبة " **بياض اليقيـــن** " في استثمار وهلات الشعر الأولى المخبأة بين السجع والرجـــز قارن الوشاح ص 155 .
النجاة النجاة / خيارنا الوحيد / للعالم الجديد / توفـــر الخـــبز / وتورّف الفيء / وشاحنا الحرية / الحياة والحضارة / في العالم الكبير والصغير / شراعنا العدل / مرساتنا السلام .

وقارن سند الملكية ص 152 .
جيل العاشرة والعشرين / يقع من القلب في القلب ..

ثم قارن جبل عامل ص 149 .
ينهل يرشف / من بصيرة الصبر / في الخضرة والنضـــيرة / قصف السموم / نعيق الغربان / يمسح ببأسه غســق النــاس / الدماء الحناء / شذر مذر / بعد موته / في حياته .

وقارن أيضاً : الأيادي البيضاء ص 143 .
المجد / الجنوب / مسرح العبث / الوسواس الخناس / يوسوس / تسقط / تصدأ / تعرى / شهداء / واحياء

وقارن المشهد ص 132 .
قوميات / اصوليات / انساب الزنـــاة / الوديـان / الـــهوان / عرضنا لغيرنا / بأرضنا / نستجدي السلام / كلام بكلام / فرح الظلام / حاضر الأيام / حضن امنــا / فــي يأســنا وجمرنــا وصبرنا / الشعر والأحلام / زاجل الحمام .

قارن : وَجْهٌ واحد ص 127 .
الإفك والحجاب / فصل الخطاب / الزمان والمكان / البلـــدان والسكان .

ثم قارن نشيد التكوين ص 97 .
انفاس البنفسج / الهمس اليائس / مسافة / ســعف / اليابســة / الأجراس / كنيسة السيد المسيح ..

وقارن أيضاً : حريق في عباءة ص 76 .

حريق .. حريق .. حريق .
حريق في العباءة العربية .
حريق في مراكب الصيادين وأكواخ الفقراء
حريق في الرخام والمرمر .
حريق في قناطر الجمالين وبيوت الكلاب البلدية
حريق في وعاء اللغة وألواح التاريخ
حريق في نسيج الجسد الواحد .
حريق .. حريق .. حريق

وأخيراً قارن : حورية الخليج ص 61 .
تحرد تتململ تسحرها تبهرها تخرج تطلع تودع تبقى تفتح تمتد تتهادى تعتمر تشلح توشوش توزع تفرك تقبلها ترضع تنقش !!

8 ــ الإيقاعات التلقائية : وأمر هذه الإيقاعات بيِّن في" **بياض اليقين** " على نحو يشكل درجة اكثر من الاعتيادي وأقل من الظاهرة ، لكن الأمر غير مقصور على البياض إذا ما تذكرنا ان الإيقاع شطر مهم في بنية اللغة العربية الجميلة فلو قلنا "يا بائع الخبز أقبل " لكان القول شيئا من البحر المجتث :
يا بائعل + + خبز أقبل = 0110101 + 0101101 (مستفعلن فاعلاتن !) .

"**وبياض اليقين**" لم يفصل الايقاعات الســـــمعية جريـــاً وراء صفاء إجناســـية النـــص ، وقـــد تـــرك الأمـــر للحالـــة (الإدراج)، فظهر الإيقاع غير المقصود في النص المؤثل علـــى شكل قصيدة النثر ، فهو مثل الشقشقة التي تصـــــــدر عـــــن البعيـــر دون إرادته ، ولســــــوف نخبــــط عـــــددا مـــــن الصياغات الإيقـــاعية بشكل (عشوائي) !

* أميرة بحريةـــــ◄ أميرتن بحرييتنــــ◄ 0110101+011011 ——◄ مفاعلن . مستفعلن .

* يسمو على الأرقامـــ◄ يسمو علل أرقاميــــ◄010101+0110101 ——◄ مستفعلن . مفعولن .

* من التفكير والرسم ـــ◄ من ت تفكيـــ . رورررسمي ـــ◄ 0101011+0101011——◄ مفاعيلن . مفاعيلن .

* اتسعت احداقنا لزرقة الأبيض + صــــــابون الغـــار وزيـــت الزيتون + يحمل اذرعنا + ترتاح أصابعنا + الضفـــــة اليمنـــى واليسرى + أسراب تستهدي + خز وحرير + شعرا نثراً شـــيئاً ما + أسعدت مساء يا بلقيس + امرأة مرسومة بالماء والنـــار + بيضاء من القطن المصري + تكشف عن نهديها كرمال التنيـــن + عاشقة حتى الموت !! .

وماذا بعد أول البياض ؟

إن الدعوة إلى موت المؤلف لا تعني إغلاق النفق المعتم في وجه محلل النص ، وإنما هي دعوة علمية للتخفف من أعباء الهوامش التي تبهظ النص لمسوغات شتى ، وسيظل المفتاح الرئيس Master Key بيد منتج النص أو ضميره ، فهو مالك أسرار البنية !! وقد حاولنا في " أول البياض " إقصاء كل ما هو خارج النص لكي نتفرّغ للنص وكان لنا ما تمنيناه !! فإذا قدرت آليات التحليل على تشريح النص دون استعارة لآليات مناهج التاريخ وعلم النفس والاجتماع والإيديولوجيا فذلك ادعى لمتطلبات العمل ، وإن قضت العملية بهذه الاستعارة على حذر فالأمر موكول إلى ذلك الاقتضاء .

لقد اكتشفنا ان منتج " **بياض اليقين** " أمين اسبر شاعر يكتب القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة بحس إيقاعي صاف ، فلماذا يصرّ الشاعر اسبر على إقصاء هذين النمطين عن مغامرة " **بياض اليقين** " ومن قبل "**سفر الجنوب**" (16)

---

16 ـ سفر الجنوب ، أمين إسبر . طب دار المجد دمشق **1996** .

قارن ما ذهب إليه عدد من الشعراء والنقاد والكتاب حول هـــذه المجموعة الشعرية من جهة التجنيس أيضاً :

1 ـــ د . علي عقلة عرسان " في هذا النص يقدّم د . أمين اسبر بعض الوقائع والمشاهدات التي تقرّتها يد ودققت فيـــها عيـــن، يقدمها في إطار من الانتماء والالتزام يجعـــل للكـــلام طعمـــاً مغايرا لما ينثر في فضاء القول من كلام " .

2 ـــ الشاعر شوقي بغدادي " وكأنه (د . أمين اســـبر) فـــي توضيحه هذا يُعبّر عن الإشكالية التي أحسّ بها ضمناً بعـــد ان فرغ من كتابة النص ... وإن ما يسمى الآن بقصيدة النثر فـــي الكتابات الشعرية المحدثة ليس بعيداً عما نقـــرؤه فـــي "**ســفر الجنوب** " .

3 ـــ الشاعر عبد القادر الحصني " في هذا السفر نحـــن أمـــام نص مفتوح متحرر من مستلزمات النظم ! وعلى الرغم من انه ليس شعراً قطعا إلا ان فيه من الشعر كثافـــة الجملـــة وبنـــاء المقطع واللغة اللماحة " .

4 ــ الناقد سلمان حرفوش " فما حكاية هذا الديوان الذي هـــو شعر دون ان يكون شعراً ؟ ؟ إننا في واقع الحال أمام إشــكالية الشعر المحيرة " وقد تكون الميزة الأولى ، والتفرد الأصــــيل في " **ســفرالجنــوب**" طرحه لهذه الإشكالية بكل قوة وعمق ، وحين قالت العرب قديما : الشعر كلام موزون مقفـــى كـــانت قولتهم تلك اعترافا صريحا بالعجز عن فهم الأعماق لأنها لـــم تتناول سوى تعريف الشــكل . فهل كانوا يجهلون ان الـــوزن والقافية لا يبدعان شعراً ... " .

أين هو " **سفر الجنوب** " موقعا وأداء ، في خضم هــذه المقايسات والمقارنات ؟ إنه ما بين المشافهة والكتابة ، وهو ما لم ينتبه إليـــه المقدمون الثلاثة بوضـــــوح (د . علـــي عقلـــة عرسان و شوقي بغدادي وعبد القادر الحصني) ولولا ذاك لما توقفوا عند الأحكام التقريبية ولـــ " ختموا " للديوان بأنـــه مـــن عيون الشعر ... وبالتأكيد لا يمكن ان يكون أمين اسبر معاديـــاً للازمة الموسيقية ولا لكومبارس التمثيل ، انه ببساطة يرفـــض الرتابة"(17) .

5 ــ وداد قـــباني " ويأتي الكـــلام ما بين دفتيه " **سفر الجنوب**"

---

17 ــ سلمان حرفوش ، " سفر الجنوب " وإشكالية الشعر قصـــائد وإطلالـــة واعيـــة تستحق التأمل . صحيفة تشرين الاثنين **21 / 10 / 1996** .

معبراً وموحياً ومؤثراً لأنه يحيط بالفعل السياسي بوشاح فنـــي هو نسيج وحده ، يقترب من الشعر حيناً ومن النثر الخطـــابي حيناً ليشكل ملحمة متكاملة (18) .

6 ــ وصال سمير " مقطع كثيف شكل خاتمة للقصيدة النثريـــة الفنية التي صاغها بلغة خاصة الشاعر الناثر د . أمين اســبر... والسؤال المطروح هنا : هل استطاع شاعرنا في نصه ان يحقق التنوع والتجدد في أسلوب التناول أم سارت القصيـــدة النثريـــة على إيقاع واحد مونوتوني خال من الحركة الداخلية الكافية في المضمون أو باللغة المستخدمة ؟ والجواب على هـــذا الســؤال يتمثل في تلك التجربة الحميمة التي مرّ بها الشاعر وفي ذلـــك الخيال الذي شهد شبوب السنة اللهب في فؤاده البـــاحث عـــن العدالة والحرية فجاء نصـــه النـــثري كســمفونية أو كـــأوبرا حياتية".(19)

---

18 ــ قباني . وداد . " سفر الجنوب " للدكتور أمين اسبر صحيفة البعث العدد 10328 .

19 ــ سمير . وصال . " سفر الجنوب " نظرة مفتوحة علـــى المـــاضي والحـــاضر ، صحيفة البعث ، العدد 10141 تاريخ 4 تشرين الأول 1996 .

نعود فنتساءل لماذا يصرّ الشاعر أمين اسبر على تبني قصيد النثر ، رغم علمنا انه يكتب القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة مما أشرنا إليه ؟

لسنا قادرين على الإجابة المطمئنة لافتقاد أوراقنا هذه الوثائق اللازمة تلك التي تعضّد القول ؟!

بيد اننا نرجّح على سبيل الاستنتاج القائم على استقراء النصوص ان " **بياض اليقين** " برم من هالات تقديس المألوف والمعتاد والمنمّط لحاجته إلى الصراخ في وجه المدنس الذي يتظاهر بالمقدس ، في العيون الرضيّة المغلقة عن رؤية الواقع المتسخ الذي يسعى إلى امتلاك الحقيقة ، في القمع الذي يدّعي الشغف بالحرية ، في التشظي وهو يقنعنا بنواياه الوحدوية !! في وجه العربي الذي يفضل الحزن على الغضب والانتحار على المواجهة .

هذه هي مركزية المعنى في " **بياض اليقين** " ، وقد اجتهدت هذه المركزية ــ كما نظن ــ انتقاء الشكل الشعري الحداثوي للبوح والعتاب مرة و الصراخ والاحتجاج مرات ومرات ! والفن اختيار ! .

بالتأكيد ثمة مركزيات اخرى تتحـــرك داخــل دائـــرة المركزية الأم، لابثة في وجدان النص أو منتجه !! لقد طرحـت الحداثة الشعرية الجديدة نمط قصـــيدة النثــر حالــــة اخـــرى للتعبير ، ولم يفكر الحداثيون المنطلقون عن الأصـــالة بإعلان موت الشعر العمودي أو شعر التفعيلة ، لأن منطلقاتـــهم نتـــاج الحرية ، والحرية لن تكرّس بأيّ حال من الأحوال سبيلا واحدا للتعبير (دع مئة زهرة تتفتح ثم اختر زهرتـــك المفضلـــة)، وقضية التجنيس تتصل بعمل محلل النص وآلياته .

إن على الشاعر كما قال الفرزدق التنزيل ، والناقد عليه التأويل . الشاعر إنسان مريض بالرؤيا غير المدجنة ، منحرف عن يقينات الآخرين ، مدجج بأحلام نظافة المكان ، مســـحور بطلسم الكلمات الفاعلة . وهاجس الشعر الحداثوي الأصيـــل ، هو التواصل مع هموم الناس الطيبين من خلال شعرية مونقة ، قوامها جماليات البنيتين : الداخليـــة (المعنـــى) والخارجيـــة (الشكل) ، وغاية المبدع اليوم ليست واحدة ، وإنما هي غايـــات متداخلـــة ، فالمتلقي ليس تقليديا كما كـــان ، بـــل هـــو متلـــق حداثوي ، لا يميل إلى تبويس اللحى ، ولا يأنس إلى النصوص المقعَّرة . انه منتج ومخرج معا ، يقرأ النص ليعيد إنتاجه وفـق مرجعياته وأحلامه وهمومه .

إن شعرية النص الحداثوي هي شركة بين النص والمتلقي ، ولن يؤسس الشاعر الحداثوي المنحاز إلى هموم الوطن شعريته على شعرية الماضي ، أو شعرية المستقبل المزعوم ! ولم تنشأ نصوص " **بياض اليقين** " اصطناع قطيعة مع الإيقاع الذي يتمثل نسغ النص الشعري عند كل الأذواق(20). ولكن الجديد هو اجتراح إيقاع جديد قائم على التناغم بين الصياغات والقوالب والصور والحروف مع استثمار واع ، أو غير واع ، لأقصى شحنات الإيقاع البصري .

---

20 ــ فخر الدين . جودت . الإيقاع والزمان . دار المناهل ودار الحرف العربي . بيروت **1995** . جاء في ص 29 وبعدها (.. الإيقاع أعم من الوزن أو الأحرى ان نقول ان الوزن هو أحد عناصر الإيقاع أو ان الأوزان هي قوالب عروضية يستعان بها في تنظيم الإيقاع وتوجيهه و إيقاع الشعر هو علاقات خاصة بين مستويات كثيرة أهمها : المستوى النحوي والمستوى البلاغي والمستوى العروضي وما استعمالنا كلمة ــ خاصة ــ صفة لتلك العلاقات إلا تأكيد على تفرّد كل قصيدة بإيقاعها نظراً إلى انها لن تكون تكرارا لغيرهم في المستويين النحوي والبلاغي وإن كانت كذلك في المستوى العروضي ... الإيقاع في أي لغة من اللغات هو تجلّ لخصوصيات هذه اللغة لأنه في مؤالفته بين عناصر متعددة مستمدة من حقول مختلفة إنما يكشف عن أهم الخصائص لتلك العناصر وعن إمكاناتها التعبيرية التي لا يمكنها ان تنفد إذا ما تعلق الأمر بالأدب شعراً كان أو نثراً فالإيقاع لا يقتصر على الشعر ، وإنما للنثر إيقاعاته ..)

دلالة المكان في بياض اليقين

* حساسية المكان في بياض اليقين
* الدلالي والجمالي
* التعامل مع المكان
* استحضار المكان
* التضاد بين الأمكنة والأحلام
* صورة المطاولة المكانية
* تأسيس الظهور الأول للاسم
* الصورة المُونِقة

حساسية المكان في بياض اليقين

. . . الزمان أزمنة ، والمكان أمكنة ، بحسب التـــأويل أو التلوين ولكنهما مع التباين والتشـــابه ، يمثلان دائرة واحدة ، حتى نحت (الزمكان) حلا وسطا ، لإشكاليات لا حصر لها !! بيد أن الدراســـات النظرية فصلتهما عـــن بعــض لأســـباب منهجية ، فكان ان استأثر الزمان لمسوّغات دينية متصلة بوعي الإنسان الأول بالملاحظة والمقاربة والدراســـة ، ممـــا ثمّـــر مباحث معمقة قالت الكثير الكثير عن الزمـــان ، الذي يعني الله في الدين ، والجريان في الفلسفة ، والدائـــرة في الرياضيـــات الفلكيـــة ، والدهشـــة في الشعر (1) وقد احتفـــل الشـــعر ، الجاهلي بثنائية (المكان / الزمان) احتفالا ملفتا للدارس!

قارن انعكاس الزمان على المكان في النصوص التالية: لعلي بن عميرة الجرمي ، والشاعرة الإبانيـــة ، والأعشـــى ، وطرفة بن العبد :

---

1. الألوسي . د. حســام. الــزمان في الفكــر الديني والفلسفي القــديم (المقدمة) طــب المؤسسة العربية للدراسات والنشر ــ بيروت 1980.

***غنينا زماناً بـــ اللوى ثم أصبحت**
عِراصُ اللوى عن أهلها قد تخلت .
*** وإن زمـــانا أيهـــا البكر ضمّني**
وإيـــاك فـــي كلب لشـــرٍّ زمـــان .
*** تضيَّفته يوماً فـــقـــرّب منـــزلي**
وأصفدنـــي على الزمانـــةِ قائـــدا .؟ !!
*** كم لعبنا بذا الشـــباب زمـــانـــا**
ولهونـــا فـــي مـــربع ومصـــيف .

ولن يجد دارس الشعر الجاهلي مكانا لا يســـطع فيــه الزمان ولا زمانا لا يحدّه المكان ، فالاثنان في روع الشـــاعر القديم حالة واحدة (2) .

والجاهلي قتيل المكان وقاتله وسيّدهُ وعبده !! وتمـــاهى الزمـــان فـــي مرجعيته الشـــعرية مـــع المكـــان لتكـــون الحصيلة (المكان هو الإنسان نفســه) !! وقد تســـابق علمـــاء الشعر الكبار في مضمار الكتابة عن المكان ، وانعكاسه علـــى الزمان والشعر .. فأنجزوا عدداً من الكتب المهمة قارن :

---

2. الصائغ . د .عبد الإله . الزمـــن عنـــد الشـــعراء العرب قبل الإسلام منشـــورات دار عصمي القاهرة طبعة ثالثة 1996 .

1 ــ الدينوري . ابن قتيبة ت 276 : الأنواء في مواسم العرب.
2 ــ المسعودي ت 346 : اخبار الزمان وعجائب البلدان .
3 ــ المرزوقي ت 421 : الأزمنة والأمكنة .
4 ــ البيروني ت 440 : الآثار الباقية عن القرون الخالية.

وقد لاحظ علماء الشعر أن الشعراء الغابرين ابتداء من ابن خذام مروراً بامرئ القيس ، وانتهاء بلبيد المخضرم ، قد وقفوا على الأطلال (المكان الغائب) ليبكوا الإ نسان الفتيَّ والذكريات الفتية والفرح والمرح والعبث .

وفي العصر الحديث تأججت الدراسات المكانية على جهود الفيلسوف الفرنسي غاستون باشلار (1884 ــ 1962) ضمن أطروحته الثمينة (جماليات المكان) التي قامت على فكرة (ان الحدوس نافعة جداً فهي تفيد في هدم نفسها) مستثمرة التحليلات السايكولوجية للنار والماء والأحلام والهواء والنوم والأرض والسكون واللغة ، فكشفت عن أن أحلام اليقظة مرتبطة بـ (جدل الديمومة) !! ممَّا دعا باشلار (3) إلى القول بضرورة تفعيل نصوص أحلام اليقظة في الشعر .

---

3 ــ باشلار .غاستون.جماليات المكان . تر :غالب هلسا . طبب دار الحرية بغداد 1980.
ــ ميرهوف.هانز.الزمن في الأدب 98 ترجمةد. اسعد رزوق.مط سجل العرب القاهرة 1972
طرابيشي . جورج . معجم الفلاسفة (غاستون باشلار) ص 130 طبعة دار الطليعة بيروت 1987 .

الدّلالي والجمالي

حوريَّـــة الخــــليج
تَحْرَدُ من اللؤلؤ ..
تتململ من قعر النسيان الأزرق ،
ومن دلال المحار .
تَسْحَرُها .. تُبهرُها ،
أضواء الأرض الفاتنة ،
تخرج على إرادة أهلها ،
في البحر ،
وتطلع ... على الدنيا ..

تُودع الحوريّة مِشط شَعْرها ،
وأطراف خِصلاتها ،
على الشط ،
كي تبقى في ذاكرة الماء .
تفتح بابَ خيمتها في الغربِ ..
على قمر بغداد .
وتمتد بضلعِها في الجنوب ...
على شمس الإحْسَاء . ص 61 .

. . . دارس "**بياض اليقين** " واجدٌ مبضعه قبالة إشكاليات دلالية وجمالية متعددة بسبب تقنيات غريبة اشتغل عليها النص ، وجماليات (ميتا / دلالية) تمترس بها !

وقد قادتنا تعددية قراءتنا إلى مقاربة ظاهرة لوّنت النصوص بإيماءاتها ، حتى ليمكننا القول : إن هذه الظاهرة بدت غيرَ قارة في وهلة القراءة الأولى ! ولكن نوبات القراءة التالية ، وتعدديتها فتحت أمام المبضع سانحة اكتشاف النصوص الغاطسة تحت النصوص الظاهرة ، لترسم التصالب بين الدلالي والجمالي في نصوص البياض ، والتنقيب في مساحة من الهموم ، شغلت النص إلى جانب آليات التراسل والتجسيد والتجسيم (4) وهي آليات تحتاج وقفة أخرى ، ليس هذا أوانها .. والمكان في البياض همّ يحاول البوح بعد طول معاناة ومكابدة من خلال شعرية نهدت على العنصرين الرئيسين (الدلالي والجمالي) قارن :

---

4 ــ الصائغ . د . عبد الإله . الصورة الفنية معيارا نقديا ص 406 وبعدها (سلطان الحواس) . طبعة دار الشؤون الثقافية . بغداد 1987 والتراسل : تبادل الحواس (خلع وظيفة حاسة على اخرى !! التجسيد هو إضفاء صفات الإ نسان على غير العاقل !! اما التجسيم فهو الارتقاء بالذهني إلى مراقي الحسي) . !!

نشـــيد التكـــوين

العازف ،
البهيّ الطّلعـــة ،
يـــدور
بالقيثـــارة ...
واللحن ،
على مضارب القبائل .

قصّت فاطمة ،
شعرها الخرنوبيَّ الطويل .
وصبغـــت عائشـــة
شـــالها العتيـــقَ الملوّن ،
بلون كـــبياض اليقين .
والكحلُ الصخريٌّ على أهداب مريم
صمتٌ حادٌ ،
يهزأ بتوقف الزمن .

الابتداء تعيّـــــن بصورتيـــن مكانيتيـــــن طويلتيـــــن متحركتين !! الأولى تتماهى مع صورة شـــعراء دور الطـــرب في الأندلس أو الطرب دور (تـــروبادور) ! فـــالشـــاعر

يستنهض المكان بصوت يصل بالــدوران إلى زمن القبيلة الذي قيل إنه مات (يهزأ بتوقف الزمن) . اما الصورة الأخرى فقـد اتخذت النص مكاناً لنزول ثلاثة رموز نسائية شغلت مرجعياتنا الدينية والتراثية والوجدانية ، الرموز الثلاثة قد اكتوت برمــوز المكان الضيّــق المنغلق !! ثمة دائماً أسئلة يطرحها كل اســـم من هذه الثلاثية الاسمية !! فاطمة : الزهراء التي قصّت شعرها الخرنوبي الطويل حَداداً على غياب المكان / النقاء !! وعائشة: الحميراء التي صبغت شالها العتيق الملوّن ببياض اليقين امتداداً لمكان غاب في المكان ! ثم مريم: العذراء التي جرّحها المكــان الساكن المتّسخ حين شرعت بتطهيره بالولادة الكـــبرى التـــي استحدثت مكانا آخر (يهزأ بتوقف الزمن) !!

وأوراقنا من جهة التأويل بإزاء حلمين ، يمتلكان هذا النص !! الحلم الأول هو البوح أو الهتك حتى لا تتبلد ذاكـــرة المكـــان ! والآخر هو إيــصال البـــوح ، إلى ذائقـــة المتلقي بعيدا عـــن حياض التـــورّط في قـــراءة عوراء تقليدية لنـــص التـــاريخ ! فالمكان الذي يســتهوي الرؤية العروبيـــة ، قميــــن باجتمـــاع الرموز النقية المنوّرة ، بعد تقشــير الثمـــرة الرمزيـــة وإزالة ما علق بها، المتمثلة بثلاث ســـــيدات غيــــرّْنَ بحـــــزنهنّ الفـــادح ســـكونية المكان ، واصطنعـــن به فرحـــاً للوحـــــــدة القادمـــة ، وإذا لم يتســـع صـــدر المكـــان لهـــنّ ، فقد اتســـع

صدر النص داخل " **بياض اليقين** " أو يقين البياض ، فجمعهن في حقل دلالي واحدٍ قائم على العضوية الثنائية .

فاطمة المقهورة في مكان القهر ، منتصرة بموتها على الموت ضمن فرضية قهر المكان ! وعائشة الحزينة في مكان اللامكان، مغتبطة بيقينها في لامكان المكان !! ومريم المتهمة بأصدق ما فيها (العذرية) في مكان الآخر ، مونقة بميلادها في المكان الجديد !! وقد وجد البياضُ في أسماء (الأمكنة / الناس /الأنواء/الملاحم ....) كوة تسمح بكثير من الضوء لكشف العتمات ، التي ارهقت الوجدان الجمالي ، وهو يرى إلى العتمات تجوس الأرجاء ، فتترك الخضرة يباساً ، والعمران خرابا .

هذه الكوّة ليست سوى الذاكرة ، التي اختارها البياض عنواناً للقصيدة الأولى فإذا قالت النصوص همومها مع المكان جاء النص الأخير (الوشاح) بوشاح النجاة ، فينتقل النص وفق افتراضات اللاوعي ، التي تسهم كثيراً في تشكيل سيناريو النص من أبوّته لـ : (هوازن) في ذاكرة النص الافتتاحي ، إلى بنوّته لـ: نوح في (وشاح) النص الاختتامي ، وهذا شاغلٌ أرّقت هواجسه يقين الشاعر ، الذي استناداً إلى اللاوعي ـ لم يخطط

لهذه التراتبيّة !! ومن أين للحزن الذي استحال تلفاً ، ان يخطط سيناريوها لفصوله ؟ ولكن ما حَصَلَ حَصَلَ للقراءة الايركولوجية (التنقيب والحفر) . والمكان ليس الجغرافيا الصماء ، انه على نحو ٍ راسخ المكان الأدبي الذي تتراءى من خلاله التجربة الشعرية والعناصر العاطفية والموقف الوجودي من الواقع والتوقع ..

التعامل مع المكان

تعامل " **بياض اليقين** " ، مع المكان بآليات المجاز والرمز ، والمرجعية المشتركة ، بين النص ومتلقيه ، فالمكان هو الزمان ، والوطن ، والحلم ، والفتاة الجميلة والإحباطات . كما تعامل مع النص المكاني ، وفق مفردات لغوية ، عززت الرؤية وقاربت الموضوع .

إن استثمار البياض لشحنات حروف الجر يعيد إلى ذاكرة التلقي، مقولة الإندغام بين فكرة الحرف ، الذي هو طرف الجبل او الشيء ، وبين المكان ، فالحروف وظرفا المكان والزمان ، إن هي إلا أدوات لا يظهر معناها إلا في محمولات المكان والجملة معا !! الحروف : من / إلى / عن / على / في / حاشا / عدا / ك / ب / ثُمَّ الظروف : فوق / تحت / يمين / يسار / أمام / خلف / صباحا / مساء / ظهرا .. عاجزة عن توصيل الدلالي بسوى الإدراج في محيط الجملة !! فمن أين يحتاز جسد النص (مادته ورموزه وأصواته) ؟ وسيلبث السؤال قائماً على سؤال آخر : أتكون الفيوضات مادة ؟ ثمة دائماً جسد وهو معلول لعلة الفيوضات ، يقترن بالحرف (من) وهي (منى) في مشغل الحياة ، تخلط الأشياء ، وتلونها لتفصح عن مكوناتها (سيدة تضع الماء كل صباح في مزهرية النور والحياة) .

والماء اذن في (ذاكـــرة) ص 5 مفـــردة مكانيـــة ، و (كل صبـــاح) مفـــردة دائرية ، وهذان الرمـــزان الواشـــيان محتبســـان في مـــزهريـــة المكـــان التـــي ا قترن نعتها بـــهما (النور والحياة) ، وهذه عينة تـــدرج الحـــروف والإشـــارات المكانية وفق تجاورها :

أ ــ **طائر ينضمّ** لــ **الهجـــرة** .

ب ــ **أميرة تحلم** بـــ **القسطاس** .

ج ــ **الوفاء** لــ **المقيل والإبداع** .

د ــ **الكلّ يسمـــو** على **الأرقام** .

هـــ ــ من **أطيافه** .

و ــ **قارئ** في **الوطن** .

ز ــ **يبحث** عن **فسحة** من **التفكير** .

هكذا احتاز جسد النص (المادة والرموز والأصـــوات) من خلال طاقات الحروف الإحالية ، فهي (الحروف) تتقاســـم فضاءات المكان،دون ان تتنكر لوظائفها مهما التبست وتعددت.

وســـنلاحظ تكـــرار وظائـــف الحـــروف المكانية فـــي ســـوى (الذاكـــرة) كثيـــراً ، حتى ليغدو التكـــرار ظـــاهرة تســـتند إلى العمدية ، إلا أن واقع الحـــال هـــو ان النـــص استثمر طاقات الحروف بتلقائية حميمـــة ، دون تكريـــس لهذا

الاستثمار .. قارن : (أجرّ عناني إلى الماء معكم) ص 19 .

المركب معطر ،
بـ صهيل الخيول ،
ودروس أبي
ودعاء أمي ،
ونبع الماء الصافي في ضيعتي .

العقود الثلاثة
حملت معي حقيبة ،
من اللغات والطقوس والإشارات .

أبحر إلى مداركم ..
يا أصدقائي
اجرّ عناني إلى الماء ،
معكم .
أرسم
بـ ريشة المطر
فلكاً من كلمات ،
ترعى
في بيادر عشتار .

تستلقي بـ وقار .
علي مصباح علاء الدين .
تستحم ،
مع أفراس البحر .

أشعلنا النار ،
علي رؤوس الجبال .
قطعنا حبل السّرة
بـ خيوط النور .
احرقنا السفن بيننا ،
و بين محيطات الركود .

اتسعت أحدا قنا ،
لـ زرقة الأبيض المتوسط
والأطلسيّ والأحمر والخليج .

بحثاً عن جمجمة الشنفرى ؟
خبأنا الغيوم الحبلى بـ المطر ،
في دفاترنا
غيمة .. غيمة .
جمّعنا الخيام ،

فِي أحلامنا ،
خيمة خيمة .
صابون الغار ... وزيت الزيتون ،
يحمل أذرعنا إلِي مريم .
علِي تاج مليكة البوم ،
ترتاح أظافرنا .

الضفة اليمنى ..
واليسرى ..
وما بينهما ،
أسراب تطير بـ أجنحة
مِن دفوف الصوت ،
والصورة .
أسراب تستهدي بـ الحُبَاحبِ .
إلِي مغارة العطاء .

خزٌّ .. وحرير ..
لـ أقزام الصلف .
قطيع السخال ،
يرعى فِي أكماتِ النمور .
ويجتر فِي خمائل الظباء .

ان بيادر أهل الحصاد
مسيّجة بـــ الجعل
والقوائم الأربع .

خاتم ..
من الزبرجد
يوشوش أصابعى .

ومحبرتي ،
أحرف من جرار الماء .
ونور ،
من قناديل المعرفة .

وقبلة علي جبيني .. من أجمل الجميلات .

النص الذي بين يدي الأوراق شاء ان ينتقـــي عنوانـــاً محيلا إلى تناص شائع مع يائية مالك بن الريب :

وأشقر خنذيذ يجرّ عنانه
إلى الماء لم يترك له الدهر ساقيا

فالعنوان استناداً إلى هذه .. يجعل الغُــرْبَة بُؤْرةً لِهَمِّ النصّ .

اســـتحضار المكان

إنّ معاينة أولى للاستهلال تضعنا داخل حقل ، يتـــأول باستحضار المكان ، من أقصى الذاكرة إلى أقصاها باحتفاليـــة الشعر من خلال الصورة التراسلية (المركب معطّر بصـــهيل الخـــيول) فالعطـــر صورة شـــميّة ، والصهـــــيل صـــورة سمعية ، جمع بينهما التراسل في صورة ثالثة لاتشبه الأولـــى ولا الثانية ، اما البؤرة الدلالية للنص فـــهي ، كمـــا ألمحنـــا ، الغربة التي اتّخذت السفر ، واحــــــداً مـــن مظـــاهرهـــا المتعددة ، فالصـــورة القـــارّة اذن تتشكـــل من :
(جواز سفر خمري جميل / تأشيرات دخول وخروج / حقيبـــة من اللغات والطقوس والإشارات ..) فإلى أين يسافر النـــص والغربة في صدره تشهق وتزفر وتنبض ؟! فليكن اذن البحـــر هو المعادل الرمزي ، للتطهير على مســـاحة الديـــوان ، دون استثناء . ليكن البحر وسيلة متخيّل النص لصناعة سفرٍ آخر .. سفرٍ أجمل من السفر .
إلى أين يمضي النصّ ، وإكسسوارات الحيرة تشـــم أجـــواءه . قالت " سادوري " صاحبة الحان ، لجلجامش الأمير الذي تـــرك إمارة اوروك ، غبّ موت صديقه انكيدو حلمه الأجمل :

" إلى أين تمضي يا جلجامش ؟ "
" إن الحياة التي تبغي لن تجد " (5)

وإلى أين يمضي النص؟ .. بعبارة أخرى إلى أيّ المدارات سيبحر ضمير المتكلم .. والحياة التي يبتغي لن يجد ؟ الإبحار من النفس إليها .. قارن (أبحر إلى مداركم يا أصدقائي. اجرّ عناني إلى الماء معكم) هذا هو الجزء الظاهر من الصورة اما الجزء الغاطس الأهم ، وهو الجزء المسكوت عنه فيفصح عنه التناص مع يائية مالك بن الريب (لم يترك لي الدّهر ساقيا) .

إذا كان ابن الريب قد استقبل الموت رخيصا ووحيدا وباكيا ، فإن ضمير المتكلم في " **بياض اليقين** " شاكس تراتبية ابن الريب ، ولم يضع وقته بانتظار الموت !! فدشن النصّ طقسا يمتلك تناصاً مع عينية شاعر اموي . قارن " **بياض اليقين** " (ارسم بريشة المطر فلكا من كلمات) ثمة عبثٌ وجودي على ظاهر السطح ، وعذاب وجودي ، لا يطاق تحت بنية الظاهر !! فالنص يرسم بريشة المطر كلماته ، والشاعر

5 ــ باقر . طه . ملحمة كلكامش ص 115 . طبعة وزارة الثقافة والإعلام . بغداد . طبب ثانية 1971 .

الأموي يرسم بريشة الرمل ، فكلاهما يمتح من مفردات مكانه ، ومتخيّله . قارن :

اخط وأمحو الرمل ثمَّ أعيده
بكفّيَّ والغربان في الدار وُقّع

هنا جعل النص الغربان الوقعَ ، معادلا كنائيا عن السفر المشؤوم .. اما ضمير المتكلم وهو يصطنع التناص ، فلم يحلنا إلى الغربان !! احالنا فقط على عشتار ومصباح علاء الدين أو ديو جينوس ..

أرسمُ بريشة المطر ،
فلكاً من كلمات ،
ترعى في بيادر عشتار
تستلقي بوقار
على مصباح علاء الدين
تستحم ،
مع أفراس البحر .

" فالكلمات هنا من خلال آلية المجاز ، معادل لعملية اختزالية كثفّت القولات على بياض المسكوت عنه !! عشتار عند البابليين وهم العرب الذين استوطنوا ضفاف نهر (اليوفراتا)

الفرات ، كانت إلاهة مقدّسة جداً للخصب والحب والغضب ، وكيف لا تكون كذلك وقد رعاها (آنو) في الأعالي يغضب لغضبها ويسعد بفرحها .. فاذا كانت عشتار عصيّة بأنوثتها وقداستها على ضمير المتكلّم فذلك أمرٌ هيّن ، فضمير النص يمتلك مصباح علاء الدين ، وسوف يروّض عشتار ويعيدها أنثى جميلة بلا وقار ، فالشاعر إن هو إلا الكلمات ، فليدعْها حتى ترعى في بيادر عشتار (مفاتنها) وقد روّضها المصباح .. وما الضير ، فالكلمات (الشاعر) تمتلك البحر لكي (تستحم مع أفراس البحر) وما زلنا نمتح من شحنات التناص المكاني .. فاذا كان بروميثيوس قد سرق اللهب ، فسرقته الآلهة فإن ضمير المتكلم يعلنها دون خوف من تكرار التراجيديا التي غلفت نهاية بروميثيوس .

أشعلنا النار ،
على رؤوس الجبال .
قطعنا حبل السرة
بخيوط النور .

وبسرعة البرق ،يحيلنا النص إلى تناص آخر ..ليس مع الشعر ،وإنما مع التاريخ .. إذ لا عودة عن الفعل ، ولا ندم ولا تراجع ، ولا خور .

*** احرقنا السفن بيننا ،**
وبين محيطات الركود .

ألم يتراء لنا طارق بن زياد هنا وهو يقطع حبل السـوّة الواصل بين الخوف وأحلام العودة .. فـأحرق السـفن حتـى تستحيل العودة إلى المكان الوخيـم (محيطات الركود) .

ويحيلنـا (التلوين) إلى إعتداد (اتسـعت أحداقنـا) خطا أحمر بين نصفي النص ، اللذين يشكلان وحدة الموضـوع في بنية النص . والنصف الثاني ملوّن بأطياف الخيبة (اتسعت أحداقنا لزرقة الأبيض المتوسط والأطلسي والأحمر والخليـج بحثاً عن جمجمة الشنفرى) . أهو صورة سوريالية اسـتدعت جمجمة الشنفرى ام ان المحمول المكـاني اسـتدعى ملفـوظ (جمجمة الشنفرى) !!

هذا الشاعر الجاهلي المتمرد على المكـان الخـانع ، فخلعته شيوخ القبيلة لأنه يهدد سكونية المكان وثوابته ، ويفسـد عذراوات القبيلة ، ويجرّىء العبيد والفقـراء على السـادة ، فإذا انفصل الشنفرى لم يجد تعضيدا من أحـد حتـى الفقـراء والعبيد .. وهكذا يوصي الشنفرى قابريه ان لا يعيدوا جسـده إلى المكان الذي خلعه حيا :

فلا تقبروني إن قبري محرّمٌ
عليكم ولكن أبشري أمّ عامر(6)

وأم عامر كناية عن الضبع ، التي تتماز عن فحلها ، بأنها لا تشبع من كل شيء ، وقد أوصى الشنفرى بإطعام جثته للانثى المتوحشة النهّمة .. فهي أحق به من المكان الوخيم ، وثانية وربما ثالثة أو عاشرة .. يخفف النص من قتامة الصورة بمقابلتها بصورة مونقة مشرقة

خبأنا الغيوم الحبلى بالمطر ،
في دفاترنا .
غيمة ... غيمة !!

ونصوص " البياض " و (اجر عناني) بينها تعمل على إلغاء تراتبيات الزمان والمكان ، لتفكيكها ، ثم تشكيلها من جديد وفق قوانين الرؤية المنحازة ، إلى الزمان الأبيض ، والمكان الأبيض ، وصولاً إلى التطهير المنشود ، فاحتاج النص إلى استحضار مريم عدة مرات ، من مكانها القرآني فهي تهزّ جذع النخلة (تساقط عليك رطباً جنياً) (7) ، ومريم مريمان كما مرّ بنا

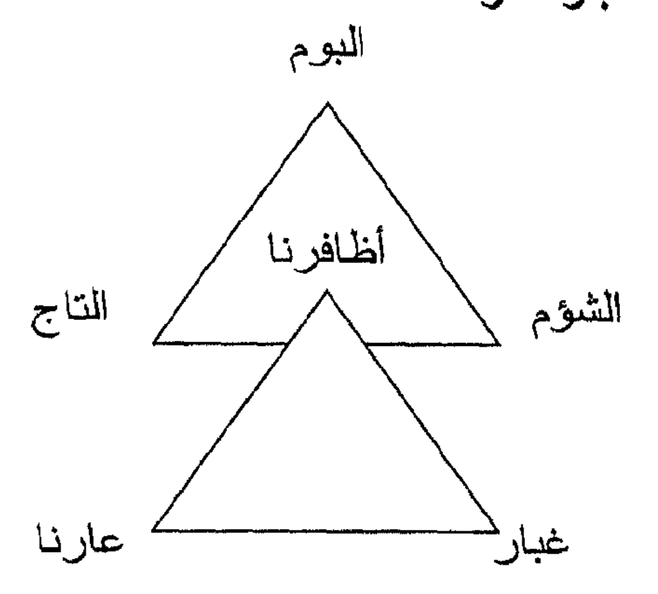
---

6 ــ الشنفرى . ديوانه ص 36 ضمن كتاب الطرائف الأدبية . صناعة عبد العزيز الميمني . طب دار الكتب العلمية .
7 ــ سورة مريم . 25 .

... مريم المكان الثابت ، ومريم المكان المتحوّل ، مريم الظاهر ومريم الباطن ، فهي مُـتَـهَمَة (بفتح الهاء) على السطح مُـتـهمَة (بكسر الهاء) تحته ، وهي مدّنس الظاهر مقدّس الباطن !

ولم يتركنا النص عند الصورة القرآنية ، بل أمعن في تظهير الصورة من خلال صورة بين السرّ والبوح ، قارن :

عَلى تَاج مليكةِ البُوم ،
ترتاحُ أظافرُنَا .
تنْفُضُ ،
غُبَارَ عَارنا .



البوم ←─── أظافرنا
الشؤم ←─── غبار
التاج ←─── عارنا

والمشجّرة تعكس لنا الخلل الذي يجتاح المكان ، والمكان الـذي يجتاح المكيـن ، والأظافر التي تجتـاح الا ثنيـن (المكـان والمكين) لكي : ن (نفض) .
ن (نفضّ) غبار (عارنا) .
وبصياغة عروضية :
ن (نفض ض) غبار (عارنا) .

غب هذه يسعى النص إلى تزويق جغرافيا الصورة بحلم متكسّر (دفوف):

أ ـ الضفة اليمنى	حدود مكانية (من دفوف) الصوت والصورة
ب ـ الضفة اليسرى	أصـ صوت
ج ـ ما بينهما	أصـ صورة = 4 صادات

(أسراب تستهدي بالحُبَاحِب إلى مغارة العطاء !!) أين القمر لكي تستهدي الأسرابُ بالحُبَاحِب ؟ ! (8)

ولسوف يكتشف دارس " **بياض اليقين** " أن نصوص المجموعة كافة تعهد إلى أسلبة النص ، وفق إحالات الخاتمة أو الصدمة وتتجلى هذه الأسلبة من خلال البوح .. ولن تجد نصاً لا يبوح . وربما كان البوح صدمة النص ، الذي يصبر على كتمان شجاه بوساطة اللعب بالصور والكلمات لتأثيل شعرية خاصة .. ثمَّ يأتي البوح الصوفي ، نهاية لعذابات النص الجمالية والدلالية ..

ثمة هتك لعورات المكان ، أو مكان العورات .. والحصيلة أمتان تتناقضان في المصالح ، تحيا الواحدة بدماء الأخرى فهما لن يعيشا في مكان واحد ، أو زمان واحد ، إلا وكان البرج العاجي للامّة القامعة والسراديب الطامورات للأمّة المقموعة .

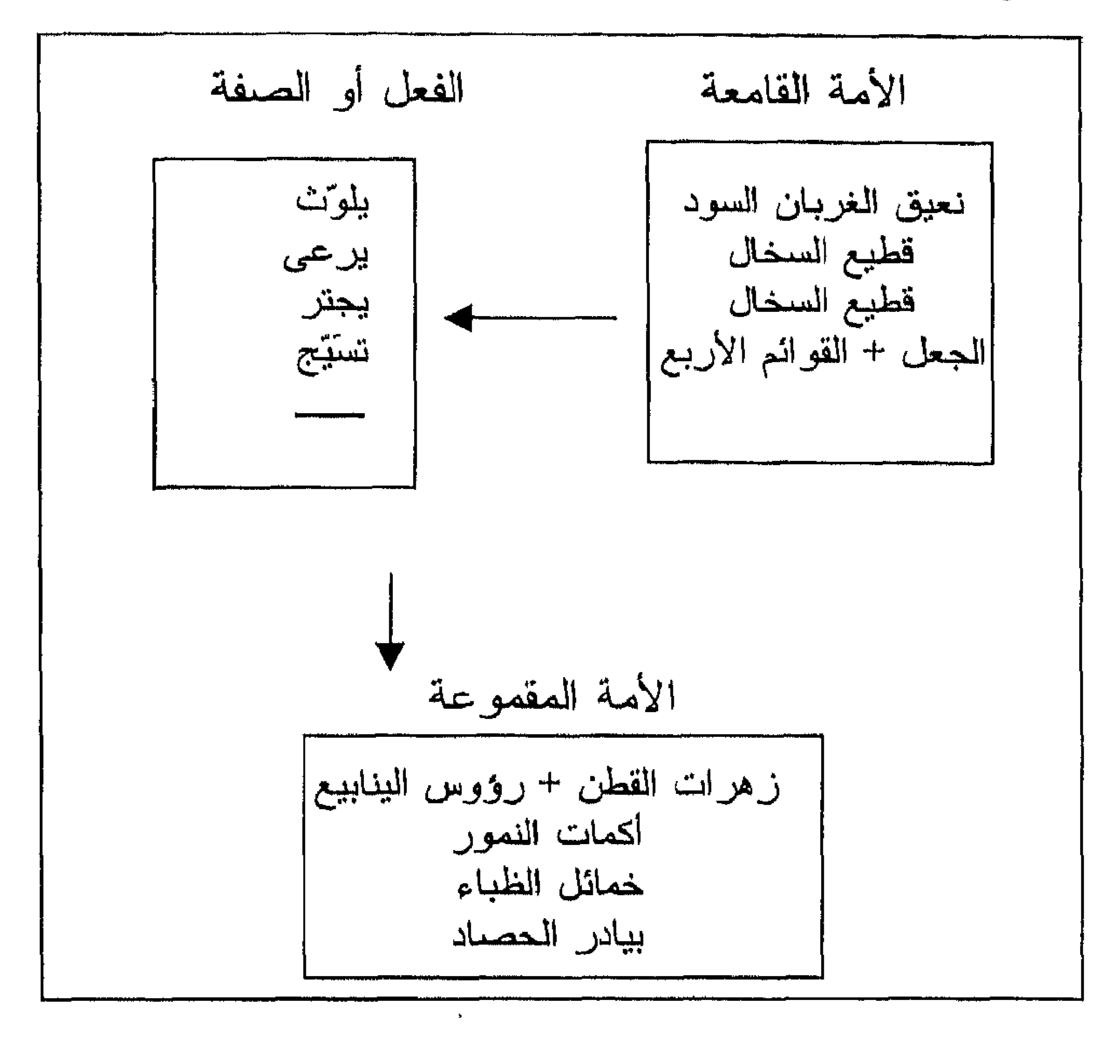
---

8 ـــ الدميري . كمال الدين محمد ت 808 هـ . حياة الحيوان الكبرى 1 / 286 طـب دار الألباب . بيروت .

قال الدميري : حُباحب : حيوان له جناحان كالذباب يضيء بالليل كأنه نار وقد ضربت العرب به المثل فقالوا : أضعف من نار الحباحب .

التـضـاد بيـن الأ مكـنـة والأ حـلام

قارن :



والتضاد بين أمتين ، يحيلنا إلى التضاد بيـــن مكـــانين وحلمين معاً..

وهو ما نهدت إليه القصيدة ، وهي تعتمـــد الغربـــــة ، بؤرتها الأولى.. فإذا اطمأن النصّ إلى إرساء الرؤية وترسيخها .. التاذ إلى البوح (هذه لغتي . سمّوها ما تشاؤون . شـــعراً .. نثراً .. شيئاً ما..) وهذا البوح ، أو الهتك ، لا ينتظر الموافقـــة أو الممانعة ، وإنما هو حالة من الهجاء الجديد ، الذي ابتدعتـــه حداثة النص ، فمن يكافئ المكابد على لغته المغسولة بـــالمطر (خبأنا الغيوم الحبلى بالمطر في دفاترنا غيمة .. غيمة). مـــن يكافئه على هدم المكان الوبيء ؟! .. ثمة الحبيبة التي تكافئـــه بقبلة واحدة .. ومكان القبلة ليس الشفاه ، وإنمـــا الجبيـــن فيـــا للمفارقة !!

والمفارقة الأخرى ، ان المرأة في " **بيـــاض اليقيـــن** " كامنة تحت ركام الاسم أو النعت ، ولم تسعفنا الذاكرة ، ونحـــن نستكشف أمكنة "**بياض اليقين** " .. ولو لمرة واحـــدة .. حتـــى نُظهّر (الكسره تحت الهاء) صورة المرأة.. ليس ثمة عينـــان تطلان علينا ، من وراء زجاج النص ، ولا شـــفتان .. ولا .. ولا .. المرأة هي كل "**بياض اليقين**" ، بيد أنها مغيّبـــة علـــى السطح ، حاضرة تحته !! وهذه إشكالية حادة تستدعي بحثا آخر ليس هذا مجاله !!! .

قراءتي ،
هي بيت القصيد ،
وقبلة ،
على جبيني ،
من أجمل الجميلات .

وليس لنا هنا إلا ان نستنجد بالتلوين ، فنزعم ان أجمل الجميلات كناية حاذقة عن أجمل الأمكنة ذلك الذي تزهر فيه أحلامنا وتثمر فيه أوجاعنا.

... " **بياض اليقين** " محاولة لقول عذابات كثيرة بعبارة مختلفة ، ورؤية حادة ، وللدارس ان يبحث عن هواجس المجموعة ، فالشاعر ــ أي شاعر ــ يولد من المفردة أو الصورة أو الحرف عناقيد من المفردات والصور و المعاني . ثمة طلسم يغلّف الشعر ، ولا بد من قراءته وكشفه ومن ثم إضافته إلى الخبرة ..

إن القراءة هي سبيل الدارس لمعرفة هموم الشعر !! فإذا قرأته لتستطلع صورة المرأة ، فذلك لك ، والمسألة هي كيف نمسك بأعنة صورة المرأة .. وإذا قرأته لتستشوف صورة الزمان فأنت وما تستشرف ، ولكن ثمة دائما طقوساً

لدخول النص وهي طقوس التحليل والتأويل والتلوين (9)

وها ان الأوراق تقرأ المكان ، ممسكة بالخيط الذي يقود إلى مغارته، مع إدراكهـا أن لكل قراءة وسائلها لـهتك الـهمّ المركزي ، والهمُّ المركزي هموم صغيرة تجمّعـت وتقـاربت وتجاذبت وتداخلت ... وشكّلته دون أن تغادر حدودها..

فالوطن ، همّاً مركزيا ، لا يلغي همـوم المـرأة ، أو الحلم ، أو البوح ، ولماذا يلغي ذلك ، وهو لن يتعزّز إلا بها .. والمكان ، همّاً مركزيا ، يتكئ كثيراً علـى مشـاغل النـص الأخرى ، ومباهجه الدلالية ، فهو استناداً إلى هذه ، لن يخشـى إيماءات الزمان ، والمرأة والحلم ، والبـوح !! وذلك ما حدث

---

9 ـ سلطات التحليل والتأويل والتلوين هي التي تحدّد المسـافة بيـن الـدال (النـص) والمدلول (المفهوم) فالتحليل قراءة تفسير والتأويل قراءة تسويغ والتلوين قراءة ترميـم انظر تفصيل ذلك :

ـ ابو زيد . د . نصر حامد . نقد الخطاب الديني ص 139 طـب ثانيـة 1994 مـط. الفجر. القاهرة .

ـ الصكر. د .حاتم . ترويض النص ص 27 طب الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998 .

ـ الصائغ . د . عبد الإله . إشكالية القصة وآليات الرواية . طب دار النخلة ـ طرابلس ـ ليبيا 1998 .

لقراءتنا " **بياض اليقين** " ، قراءتنا للمكان!! أوراقنا لم تختنق من تمظهرات الهواجس ، الأخرى ، بل وظفت الهواجس لتظهير الهاجس الرئيس قارن (ألف باء ياء) ص 31 .

لم يقل النص (ألف باء تاء) ليبدأ ، وإنما اختار (ياء) لينتهي إلى التماهي ، بين الناس والمكان ، من خلال (ضلوع الأرض والناس) ، بحثا عن حالة تجعل الناس قسيما له في (وجع القيامة) . لكأن المكان مضبّب بـ (رمد الأعين الناعسة) بسبب (دخان السنديان الذي يحترق على مجرة وطن من التوابيت والسلاحف) . المكان المزدحم بالتوابيت والسلاحف ، مكان مدّنس ، والنص يغسل هذا المكان ، بعد ان يعثر على البحر ، الذي يتطهر المدنس بمائه ، ويتلمّس النصّ (لوحا من الطين) .

وليس بنا حاجة لمساءلة النصّ عن ما هيّة اللوح ، فهو لوح يقول أشياء جميلة ، آية ذلك ان اللوح كما يتجلى للدارس مكان غادره الزمان .. وفي بؤرة المكابدة .. هنا في هذا النصّ وهناك في النصوص السابقة أو اللاحقة ، يطيب للشعرية استثمار آلية التضليل .

فالنص يعمل على وضع تراتبية ، وعِلليّة ، تهيّئُ

للقارئ نتيجة ما .. معلولاً ما .. إلا أن النتيجة تـــأتي مغـــايرة للتوقع بما يُؤّثل صدمة النص (10) قارن :

(أنام على أوثر فراش ...) التراتبيـــــة ، والعِلليّـــة ، تحيلان مرجعية القارئ إلى فراش امرأة .. ونكتشــــف ، ويـــا للمفارقة انه (فراش من القلق) ، وذلك مما يذكرنا بقبلة أجمـــل الجميلات يتركنا النص نتلذذ بتوقع مكان القبلة فإذا هي علــــى الجبين . فالشاعر رائد .. والرائد يرى في قبلة الجبين معنـــى ليس في الشفتين !!

---

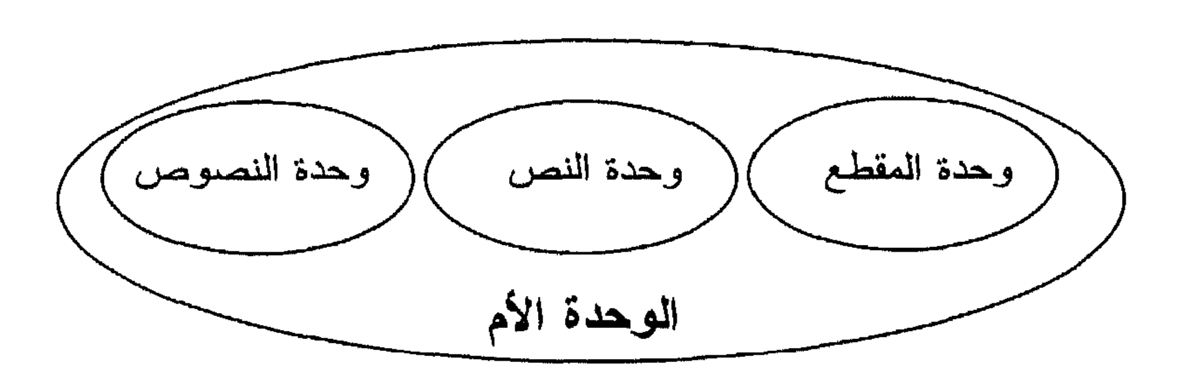
10 ــ الصائغ د . عبد الإله . الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية ص 212 طـب المركز الثقافي العربي . بيروت ــ كازبلانكا 1999 وقد أطلقنا على ظاهرة التضليل فـــي حقل الشعرية (المكر الفني) .

صورة المطاولة المكانية

البنية الشعرية ، إنما هي حاصل بنيات متعددة ، تجتهد كل واحدة في ابتكار الهموم الوجودية والجمالية للاستئثار بقلب المتلقي كما استأثرت هي بقلب الشاعر وحين نصطنع مقاربة مع النصوص ، وفق ظاهرة المكان ، التي امتدت على نصوص الديوان ، فإن علينا إلغاء الشعريات الأخرى ، التي تتاكف شعريات المكان ، وهذا ما حصل ، فنحن منهمكون بفحص شعريات المكان دون سواها ، وإن اضطررنا ، فثمة الشعريات اللامكانية المرنة ، التي تقارب المكان ، بالتوازي وليس بالتقاطع .

1 ــ وقد احالتنا بنيات " **بياض اليقين** " إلى تقليد مغاير ، استثمرته تجارب حداثوية قليلة ، ولسوف يلتفت إليه شعراء المحاكاة في قادم أيامنا ، فيغدو سمة الأعمال الشعرية ؟ والذي نعنيه تحديداً ، هو وحدات الموضوع .. ولم نقل وحدة الموضوع ، فالثابت لدى الدارسين ، ان سيماء التغاير بين شعر الشطرين (العمودي) وشعر التفعلية أو قصيدة النثر ، كامن في الوحدة !! الشكل العمودي قائم على وحدة البيت .. إيقاعا ودلالة ، ثم تتشكل وحدة الموضوع الكبرى من وحدات الأبيات!!

أما الشكل الجديد للنص ، فقائم على وحدة الموضوع فليس ثمة وحدة بيت ، أو شطر ، وإنما الراهن هو وحدة الموضوع التي تمنح شيئاً من حدودها لوحدة المقطع ، أو وحدة المشهد تلك مقولة الوحدة داخل النص الواحد! أما" **بياض اليقين**" فهو كما تكشف لمبضعنا ، قائم على عدد من الوحدات :



وهي على أية حال ، ظاهرة تستأهل التلبث عندها وتسويغها ، فالنصوص عائلة قوامها أفراد تحمل اسم كبير العائلة ، (بياض اليقين) تتصل هذه النصوص ببعضها ، من خلال قواسم مشتركة ! ولسوف تسمح لنا أوراقنا ، بملاحظة مقولة (صور المطاولة المكانية) !! فماذا يعني المصطلح ؟

المصطلح يعني تنامي الصورة من خلال عدّة نصوص

كما لو كانت الصورة بطلا في رواية . يساعد على هذا ، وحدة التجربة العاطفية ،ووحدة الهموم المركزية داخل النصـوص(11) فأنت قبالة أسماء تتكرر بالملامح ذاتها ، مع تعديلات يستدعيها القول الشعري (بهية)مثلا في الذاكرة السياسية ، صورة البنت الصعيدية التي أرادها أحمد فؤاد نجم ان تكون معادلا لمصر ..

يا مصر يــا ام بهــية   يا ام طرحة وجلابية
الزمن شاب وانت شابة   هو رايح وانتِ جايه

قارن اشتغال " البياض " على بهية و مُسَمَّاها ؟

1 ــ * كم هي رائعة " جلابية " بهية :
بيضاء من القطن المصري ،
وخضراء من مباهج الأمل ،
وزرقاء بلون الأبيض المتوسط ،
وحمراء من عطاء الصديقين والشهداء .

---

11 ــ الصائغ . د . عبد الإله . إشكالية القصة وآليات الرواية . مصدر سابق .

* لقد أغرت " أبا لهب " خيانة التوحُّد ،
وخرج عن مدارات الشروق والشمس .
و " جلابية " بهية ،
المنسوجة من جلال الزمان ،
وقوادم النسور
ومرح الأطفال
تصير ستارة لمسرح العبث .

* على بساط عمرو بن العاص ،
أطير
إلى بهية .
... أسألها عن موائد الإفطار
وقصب السكر ،
والشعراء . !

* أسأل بهية ،
عن زهو الطين ،
وحصاد القمر ،
عن كرامات الحسين ،
ورقصات الدراويش .

تخلع بهية عن النيل ،
قميص النهار
المسكون في الظل .
تفك عن أعناق النخيل الباسق
نجمة سداسية ،

ثم تقرأ آية الكرسي
وتنام ..
تنام والدمع في محاجرها .

وكل صباح ،
تصحو بهية على القرن
والظل
والمزامير ...

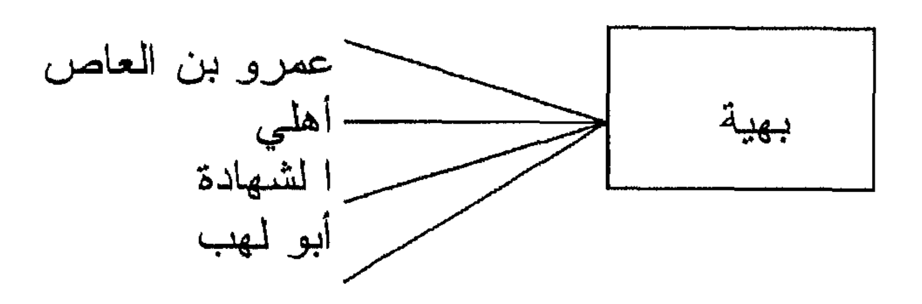
2 ـــ عودي إلي
ولو في الحلم
يا بهية .
نأت المسافات بيني وبين أهلي

3 ـــ وتسدل الستارة على دم ذاهل
في الطرحة وفستان الزفاف
والحصان الأبيض

4 ـ يا لهول الفاجعة
على أرض بهيّة !! الوسواس الخناس .

ولم يكن تكرار " بهية " ، وانتقالاتها من نص إلى نص ، أمـــراً اعتياديا في الأعمال الشعرية .

وتزداد الحاجة إلى التسويغ ، حين تبدّل بهية شــيئاً من هيئتها في كل صورة ، ويظل المكان حالتين : حالة جغرافيـــة وذلك ما لم يعن به كثيراً . والحالة الأخرى نفسية ، بمعنـــى ان النص يســبغ لونـــا على المكان ، طلباً للانسجام بين المكـــان والوظيفة الفنية ، وبينهما وبين الوظيفة الإيصالية .. يحصـــل ذلك حين يقترن الاسم ، بأسماء تاريخية للأشخاص والأمكنـــة امتلكت دلالات الرمز المنفتح . قارن للمثال :



وحاصل الجمع ان بهية ، طلعت مـــن مكانهـــا فـــي الصعيد ، ودخلت نص أحمد فؤاد نجـــم ، ثم خرجت من النص المكاني الثاني ، لتظهر في نصوص " **بياض اليقين** " مزدحمة

بدلالات جديدة ، تتجاوز مصر المكان ، إلى الأمكنة العربية كافة ، وتتجاوز الزمان الذي تشكلت فيه ضمن وهلتها الأولى ، باتجاه كل الزمان العربي : ا لما ضي ، وا لما ثل ، وا لقادم .

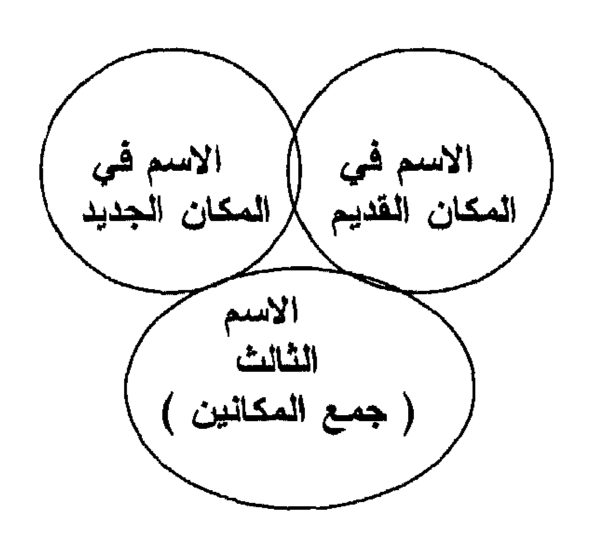
"بهية " شيء من الشعب والتاريخ والمكان والشعر والحدث قدرت على القول الشعري وحدث مثل ذلك لأسماء كثيرة من نحو : عشتار ، مريم ، والشنفرى ، بلقيس ، سليمان ، شهرزاد ، يوسف ، وضاح اليمن ، أبو لهب ، رابعة ، حاتم ، أبو حاتم الدمشقي الأموي ، العباس القرشي الهاشمي . لؤلؤة ، الرشيد ، المتجردة ، كاظم ، الراشدون ، شمشون زرياب ، فاطمة ، السيد المسيح ، أيوب ، المتنبي ، ابن جني ، سيبويه ، الاغريق ، سلمان ، الحسين ، نوح ، العزيز وسليمان (12) .

2 ــ أسماء الناس ... الأنبياء والقديسون والأئمة والقادة والنجوم .. داخل النص ، تحيل متخيّل المتلقي إلى سانحة

---

12 ــ الجمعة 28 ــ 5 ــ 1999 مدينة صنعاء ــ ندوة الجمعة الثقافية نصف الشهرية في بيت الشاعر د. إبراهيم الجرادي وكانت الندوة مكرّسة **لبياض اليقين** ــ وقد كشف الشاعر أمين اسبر في تلك الندوة عدداً من أسرار النص بينها (سليمان والعزيز) والمقصود بهما الشاعران المعروفان سليمان العيسى وعبد العزيز المقالح وربما تعمّد الشاعر حالة التماهي بين الاسمين داخل حقل رمزية الماضي ورمزية الحاضر .

اســـتحضار المســـمى من زمانه ومكانه ، واجتراح حالة ثالثــة ليست حالة الاسم الأولى ، ولا حالة الاسم الثانية ، وإنما هـــي حالة اندغام الاثنتين في حالة واحدة .



3 ــ وحدث هذا النحو مع أسماء الأمكنة ، التي بثها "البيــاض" في جل نصوصه ، فالأمكنة التي سنقاربها ، ليست الأمكنة التي قرّت في مرجعياتنا . إنها هي .. وليست هي !!! هي أمكنة في متخيّل النص ، قبل أن تكون أمكنة في مساحة الجغرافيا ، ولأن الأمكنـــة كذلك ، فهي لا تـــلتقي علـــى الخارطـــة ، أو علـــى الواقع ، ولكنها تلتقي في حلم النص وإشاراته ، فالقدس تســـاكن الكوفة ، وبغداد تعانق دمشق ، والقائمة طويلة ...

تأسيس الظهور الأول للاسم

والعتبات المقدسة 95 الأصيل 95 المضارب 97 الصخر 98 الحصار 99 طول الدنيا وعرضها 99 كنيسة القيامة 99 الأعشاش 102 صدر 103 جَزْر 107 الجيران 108الكاظمية 109 الهجرة 109 أبواب 110 المغارات 110 المد 110 اللامتناهي 110 الشوارع 111 الصلصال 111 الجهات الأربع 114 غرف النوم 114 هيروشيما وغريناادا وبناما ومجاهل أفريقيا 115 إشارات المرور 116 سدرة المنتهى 119 خارطة 120 العالم 120مقاعد 123 أسرة 125 مساكن الحريم 126 نجد 126 البصرة 130 المربد وعكاظ 132 المغرب الكبير 133 ذي قار والقادسية 133 الواحات 134 المشهد 135 الأندلس 136 الإغريق 137 القبور 138 القناة 141 الشمال 144 مكة المكرمة والمدينة المنورة والخندق وخيبر والمدائن 147 البيت 148 جبل عامل 149 الملاذ 156 الكبير والصغير 157 الشرق 157 المرساة 157 .

وحين يبدأ " **بياض اليقين** " بجسد ا لنص الذي يحمل مادة المجموعة الشعرية ، ورموزها ، وأصواتها ، وأطياف فيوضاتها ص 15 فإنه يقفل المجموعة بـ (السلام) ص157. وبين الجسد والسلام ثمة الوطن دائما ، ذلك المكان الذي أردناه سلاما وأرادوه خرابا !! أردناه محبة وحولوه بغضاً

.. هذا المكان المقدس ، لم يعد مقدساً على مساحة الواقع المقهور ، ولبث مقدساً في مساحة الوجدان ، وسيلاحظ الدارس السيوف والنفط والبحار والحرائق والمؤامرات وتبويس اللحى أمام العدسات .

لقد صبر البياض بانتظار صناعة إيماءة ، تلغي التلف الذي حاق بأحلام الوطن ، ثم اندغمت الصور ، وتبوبت ، لنعلم ان حلمنا الذي انسحب من الوطن ، وسكن رؤوسنا لم يعد آمنا على مكانه الجديد .. لأن (الرؤوس / المكان) هي المحطة الأخيرة للحلم ، والرؤوس الحالمة ، ليست آمنة أمام رؤوس الواقع ، ورموزها فكان على النص البوح أو الـهتك ، ليس لصور الآخرين فحسب وإنما ليقينات البياض ، وقد يأتي البوح في مقدمة النص ، ثم ينجّمه على عدد من الجمل (الصوفنية) باعتماد آلية (النشر) أو يخبئه النص ويطلقه في الخاتمة على سبيل (الطي) فما بالجماليات الصياغية ، وحدها يتنفس النص ويهدأ ولكن البوح آلة أخرى للتنفس .

*** قارئ ... في الوطن الكبير ،**
يبحث عن فسحة ،
من التـفكير ...
والـرسـم ...
والتـعـبير ...

المادة ..
والرموز ..
والأصوات ..
هدايا .. ملكية مشروعة ،
لمن اتذكّر

* خز وحرير لأقزام الصلف.

* نعيب الغربان السوداء
يلوّث زهرات القطن ورؤوس الينابيع.

* قطيع السخال يرعى في أكمات النمور
ويجتر في خمائل الظباء.

* بيادر الحصاد مسيجة بالجُعْل والقوائم الأربع.

* النجمة الساهرة مع الياسمين
تعبت من الإقامة وحدها في المطار.

* العيون تكحَّل بصمت ذليل
كامرأة حبلى من أنفاس العابرين.

* أيّ هودج يُلقي
بأيّ يوسف في الجبّ .
وكل سيفٍ
يضرب نصله في الصندوق
على وضّاح.

* قوادم النســـور
ومرح الأطفال
تصير ســـتارة لمسرح العبث.

* لم يعد مســـموحا لبلقيس
أن تغسل ضفائرها
في دجلة أو النيل أو بردى.

* وحده .. إله الدم والشهوة ،
يسعل ،
يتثاءب ،
يختال ..
يضع أوراق اعتماده ،
على فوّهة الآبار.

* مغلول .. مغلول
أنت يا وطني الكبير.

* الصور الباهرة ،
تكتبُ
بالقيء من الكلمات.

* هوية .. ولا هوية ،
توحدّ العارَ من غابر السنين ،
في حاضر الأيام .

تسبي القدس مفصلا مفصلا من حُضْنِ أمّنا ،

* حُفّار القبور
يخبئون .. يقتلون .. يمثلون
في حركات الفعل .
ويصيدون
الشعر .. والأحلام ،
والخيول ... وزاجل الحمام.

*** جبل عامل يُصيِعّرُ خده للطغاة.**

*** جبل عامل ،**
خضابُ رجاله الدماء
وخضاب نسائه الحناء والدماء.

*** الوفاء لقيم الحسين**
بعد موته ،
اعجب من الولاء والحب له ،
في حياته .

*** الصعود للسفينة ... خيارنا الوحيد .**

*** سفينة الأم ،**
ملاذنا ... وبيتنا الرائع الجميل .

رأينا في فقرة سابقة سحرية الاسم داخل النص ، فهو يستحضر مع الاسم : الرمز ، والمكان ، والحدث .

والاسم دائما مصدر لتوليد المسميات ، ففي أسطورة تكوين الخليقة البابلية ، حينما في العلى (أينما إيلتش) ثمة

افتتاحية قارّة في روع المبدع الشـــفاهي ، لـــها نقـــرأ (حينما في العلى .. حين لم تكن الأسماء ، لم تكن أرض ولـــم تكن سماء وحينما كانت الأســـماء كـــانت الأرض ، وكـــانت السماء) ثم نقـــرأ فـــي القرآن الكريم (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هـــؤلاء ان كنتـم صادقين . . قال يا آدم أنبئهم بأســـمائهم فلما انبأهم بأســـمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلـــم مـــا تبدون وما كنتم تكتمون) (13) .

ورأى جيمس فريزر في " الغصن الذهبي " ان الســـحر التشاكلي+9 قائم على كون الاسم استعارة تصريحية فهو المشبه به لمشبه غائب ، ولذلك يمكن إيذاء المسمى من خلال الاســـم واستحضار المسمى باستحضار الاسم (14) ".

وغير كامن استثمار " **بيـــاض اليقيـــن** " لطقوســـية الأسماء وسحريتها ، بشكل ملفت للإنتبـــاه ، فكـــان ان بثـــت النصـــوص مـــئات الأســـماء ، وأطلقتهـــا لتنـــاقض مـــن تشـــاء ، وتصاقب من تشاء ، لكي تقول الاســـماء ، بمكناتـــها الإحالية ، كلاما مسكوتاً عنه لم تقله النصوص !!

---

13 ـــ البقرة 31 .

14 ـــ فريزر . سيرجيمس . الغصن الذهبي . انظر فقرة السّحر التشـــاكلي . تـــر : د . احمد أبو زيد وآخرين مط الثقافية مصر 1971 ج !

الصُّورة المُونِقة

الصورة الفنية بؤرة جمالية كبرى ، تشد أجزاء متخيّل النص إلى بعضها ، فهي نسخة أخرى للواقع ، أجمل منه أو أقبح ، لأنها لا تسعى لمحاكاة الأشياء كما هي ، وإنما محاكاة الأشياء كما ينبغي أن تكون ، وسبيل الصورة إلى ذلك تعادلية سحرية بين المجاز والواقع ، وقد تحدّث عنها ارسطو ، باستفاضة في فن الشعر وفن الخطابة ، وإذ انبثق العصر الجاهلي في الذاكرة الشعرية ، كانت الصورة معياره الذي لا معيار سواه (15) ثم قعَّدَ الجاحظ أهمية الصورة في الشعر فنص على أن (الشعر صناعة وضرب من الصباغة وجنس من التصوير) (16) .

وما زالت الصورة وستظل ، أهم المداخل لشعرية النص ، فالشعر الجميل إنما هو شعر صورة جميلة ، وليست الصورة مرة أخرى الصورة المثلية أو الأيقونية ، وإنما

---

15 ــ الصائغ . الصورة الفنية معيارا نقديا (م . س) .
16 ــالجاحظ ت 255 هــ .الحيوان 1 / 444 تح : فوزي عطوى طب أولى 1986 (د.م).

هي الصورة الجمالية التي تتألق بأنحائـــها لإضـــاءة النـــص ، واستثمار طاقاته لإيصال الحقيقة الشعرية مـــن المنتـــج إلـــى المستهلك (17) .

" **بياض اليقين** " ، نصوص تتألق بالصورة ، والصورة تتجمع داخل حقول المعنى ، لتؤلف كما قال د . عبد العزيـــز المقالح (اللوحات الشعرية المتفجرّة بآخر الأحاسيس والمشــاعر المشتعلة في ساحة الوطن الكبير) ثم لاحظ الأستاذ المقالح بعـد ان اشّر حالات التماهي بين النصوص واللوحات ،عـــدداً مـــن وســـائل البيـــان لإيناق الصورة ، فأضاف: (تتميز نصـــوص الديوان الجديـــــد ... بـــالألق العميـــق وبـــالغموض الـــهادئ الشفيف)(18) .

-وليس هذا فحسب ، بل إن الناقد والقارئ لـــ " **بيـــاض اليقين** " يجد نفسه أمام أنساقٍ متمايزة للصور الفنية ، واللوحات والمشاهد ، تسعى إلى التأثير في وجدان المتلقي مـــــن خـــلال أثرها الجمالي ، ولم تسع الصور المكانية إلى توكيد مكانيتـــــها بالخطاب التقريري والوســائل الإيضاحيـــة ، وإنمـــا تركـــت

---

17 ـــ الصائغ . الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية . طب المركز الثقافي العربي بيروت / كازبلانكا / 1997 .

18 ـــ المقالح . د . عبد العزيز .. انظر مقدمته لـــ " **لبياض اليقين** " .

الصور تتنفس بحرية تامة لتنمو دون قسر أو اعتساف :

*** منى : سيدة تضع الماء كل صباح ،**
في مزهرية النور والحياة .

*** المركب معطرّ ،**
بصهيل الخيول ،

*** ارسم بريشة المطر ،**
كلمات ترعى في بيادر عشتار .

*** أتلمس لوحا من الطين ،**
ضبابا ،
مرايا ،
أرسم عليها أجراس الأبدية

*** اخرج من تنفّس العطر ،**
وأقرأ ،
من فم الرعد ،
على المزاهر الحبيسة ،
واحرف اليأس في صور الرجال ،
وضجة الأمل أمام أقواس الخصب الغضة .

* أسعدت مساء يا بلقيس ،
فما سواك ،
يستحضر
العزيز .. وسليمان ،
مع الحواريين ، واشجار اللوز ،
قريباً من جبل النهدين .

* من قبو الزمن في صنعاء ،
اهبط الدرجة السادسة .
وفي حضرة الصباح ،
اهدي قرنفلة قطفة حبق لحبيبتي .

* أعود إلى الفضاء الرحب ،
المضاء بسنابل القمح وعيون الرضا .
وأصعد وأصعد رخي البال ،
إلى مراكب الأحلام الزاهية.

* أي رسالة ،
اقرأ في ضوء السراج ؟ !
وكل الرسائل ،
مكتوبة .. بالحبر السري !!

* الوطن يأتي اليّ
جريحا في الضوء والعتمة ،
يا بلقيس .

أنا الجريح ،
أنا الوطن .. أنا الوطن

* حورية الخليج
تحرد من اللؤلؤ ..
تتململ من قعر النسيان الأزرق ،
ومن دلال المحار.

* تودع الحورية مشط شعرها ،
وأطراف خصلاتها ،
على الشط ،
كي تبقى في ذاكرة الماء .
تفتح باب خيمتها في الغرب ..
على قمر بغداد.

* يا إلهي!!
ان الحرف يتنفس ... الهواء الطلق .
وعلى أجنحة ،
من جنْي القِطاف ،
تنقش الكلمة ...
رسوماً ...
ودلالات ..
على حواجز ،
المسافرين .

* الحورية ،
بنت التسعة عشر عاما
تعشق
جارها :
تنيناً من رمل الكلمات ..
وملح الزّبد .
تبيع أساورها ،
وترهن بؤبؤي عينيها ،
ومشط الشعر ،
وفيء قاسيون ،

تكشف عن نهديها ،
"كرمال " التنين !!(19)

*** لسانه ،**
يمتد إلى كل مدينة وحارة .

*** الطلقة العابسة ،**
تنفذ إلى زهرة القلب
والنضيح البريء ،
يتدفق إلى الحلق ،
يصل إلى خاتم الزواج .

*** مسرح الشاطئ الوردي**
يردّ على الأعين ،
فضل رداء العاشق .

---

19 ـ مرّ بنا القول ان " **بياض اليقين** " لم يهتك سرّه مع المرأة ، فخفيت في الظاهر وتجلت في الغاطس ، فلم نر جسدها أو شيئا منه ، واستثناء فقد ورد (النهدان) مرتين !! الأولى لا علاقة لها بالنهدين فجبل النهدين موضع قائم في صنعاء ! والأخرى وردت ص 97 حين قابل بين الحورية والتنين .. وإذا اتبعنا بالتأويل فالتلوين سنكون قبالة معضلة دلالية ربما هيّأت للمتلقي سانحة مقاربتها وتشريحها .

إنها الصورة المقاربة لمالك بن الريب

وخطا بأطراف الأسنةِ مضجعي
وردّا على عينيَّ فضْلَ ردائيا .

وهذه الصورة الحداثوية المستفيدة من سقوط نصيف المتجرّدة النابغة :

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه
فتناولته واتقتنا باليد

*** سَقط**
نَصِيف المُتَجرِّدةِ
فكّت
عاصفة الصَّحراءِ زُنّار الخصْر
انتشَرَ .. الجرَبُ
وصَدور النِّساء
تَحكّها ... تُدْمِيها أصَابعُ العار الغريب .

*** أسرى إلى النجف ،**
فأودعته زينبُ والعتبات المقدسة وزرياب
وتراً من حرير الحزن
في قيثارة الأصيل .

*** على أنفاس البنفسج النديِّ**
تنتشر ،
لحظات الهمس البائس.

* سقطت صرّة هدايا ،
لملمتها ،
الزهراء وعائشة ومريم .

صارت نسوة الحي و" الصرّة "
سراً ملوّناً عميقا من التراجيديا
تبحث عن كفن من القماش الأبيض .

* تمسي البلابل في أعشاشها ،
بأثواب الزفاف .

* على الأطراف ،
تحترق شمس العاشقين .
ينشطر قمر الأحبة .
يغيب " سهيل "
في أفق الليل الدّامس .

* وحدها ،
قناديل الكاظمية ،
تختزن
حزمة من الضوء ..

* طالت مساحات الجزر
يا وطني
الديدان الشريرة ،
تقضم ألواح الورق والطين .

* الغول ،
يتقيأ على الأدمغة ،
وفي أعماق المحيطات .
يخدش اللؤلؤ .. ويثقب المرجان ،
ويصطاد بالصنارة أسماك الزينة.

* معوّقون ،
يشربون
من مستنقع الضفادع
ينامون باكراً
على أسرة العناكب
يسوّون
جراحة التجميل ،
في أصابع الرياح الغربيّة .

*** الطعنات البكر**
تتفرّج على فتافيت الجراد ،
وفرح الظلام.

*** عمال البحر ،**
يمدّون قبعاتهم البيضاء
جسر محبة ...

*** سلمان ،**
يخرج عن حداء القافلة
مزوداً بأعباء التاريخ .
يشقّ الفضاء ، عن مفتاح الثورة .

*** ينظم ،**
أسنى القصائد في الأمسيات .
يمسح بيأسه .
غسق النعاس.

والصور في " **بياض اليقين** " مونقة بالحركة ، التي تسمها بميسم واسع ، فالأسماء تتحرك في المسميات . تتحرك في الأمكنة والأمكنة تتحرك في الدلالات والأحداث . ذلك

ما يهيئ لنا القول ان نسبة كبيرة من صور البياض ، تستند في حرارة ألوانها ، وحدة خطوطها ، إلى الحركة التي تحيق عادة بالصور الفنية ، وبخاصة المكانية فتشمها بالسكونية ، وإذا استطاعت الصور التي انتقيناها إثبات وجود هذه الظاهرة فإن هناك بضعة ظواهر ، أسهمت في نموّ الصور المكانية من نحو التماهي والتجسيم والتراسل والتجسيد والكناية والتشبيه والإيقاع الداخلي ، بما يخلق من كل هذه الظواهر مجتمعة إيقاعات على مستوى الدلالة وفضاءات النص ، فقصيدة النثر تسوّغ دائما تجنيسها مع الشعر وتزوّد المتلقي ببدائل إيقاعية تنسيه إيقاعات التفعيلة .

الخاتمة

لم يكن العنوان الذي انتقيناه لدراستنا : " **دلالة المكان في قصيدة النثر ـ بياض اليقين لأمين اسبر أنموذجاً** ، سوى ثمرة قراءات متعددة لنصوص البياض أحالت إلى كشف الهم المركزي البنائي للبياض وهو همّ قام على اعتداد المكان قطب الرؤيا الذي تدور حوله مفردات الحياة .

فالمكان من خلال النصوص هو الوطن والناس والأهل والأعداء والأحلام والخيبات .. انه الوعاء الذي وعب مشاغلنا الدلالية والجمالية معا ... .

وقد تعاملت الصورة الفنية التي خلقها الديوان مع المكان تعاملا فنياً ، فثمة دائماً انطلاقة من المكان الجغرافي نحو المكان الفني ، الذي يضيف إليه متخيّل النص ومرجعيّة المتلقي ، الواناً متماهية مع بعضها ، تؤجّج الهموم المحورية والهامشية لنصوص البياض ، فتطالعنا العبارة المكثفة والصورة الومضة والكناية اللماحة .

وقد قرّ في ضمير الدراسة صناعة تمهيد مطوّل يتناول ثلاث إشكاليات تتصل بمقولات التجنيس والشعرية

والإيقاع .. ثم تهيأ لنا ان تجاوز هذه المقـــولات يمثـــل خلـــلاً منهجياً يفقد الدراسة واحداً من أهم عناصرهـــا ، ونعنـــي بـــه عنصر الإحالة .. فمقولة التجنيس باتت مقولات بسبب من كثرة الاجتهادات وتعدد المناهج و اختلاف الغايات فتعيّن علينا تمكين الدراسة من إطلالة مناسبة علـــى نمـــو المصطلـــح بمحمولـــه وملفوظه .. ابتداء من وهلة الشعرية الأولى ... .

فإذا قاربنا الشعرية الفيناها شعريات ، فهي مصطلـــــح مرن ومفتوح ، فمن قائل ان الشعرية بؤرة الجمال في ما يقـــع عليه الحس والذهن معاً ، إلى قائل ان الشعرية هـــي الوســـائل الجمالية التي تحيل الصياغات من حقلها النثري إلى حقل الشعر وقد وجدنا ان شعرية نصوص البياض كامنـــــة فـــي اجـــتراح الصور الفنية والصياغات الجديدة والنداءات الصافيـــة لكســـب المتلقي وضمان انحيازه إلى جماليات النص ومن ثم إلى همـــوم النص الوجودية التي تمثل مركزية الديوان .

ولم نشأ ترك مقولة الإيقـــــاع البصـــري دون تقعيـــد نهضت له نصوص البياض فجاءت المواءمـــة بيـــن التنظـــير والتحليل لتؤدي مهمة التوصيل الفني .. نعـــــم .. كـــان (أول البياض / تمهيد في الجنس والشعرية والإيقاع) ضرورة أملاها علينا منهج الدراسة .. اما الدراسة ذاتها ، فقد كـــانت بعامـــة رصداً مكثفاً لأهم وســـائل الديوان في إيصال الحقيقة الشعرية

من متخيّل النص إلى متخيّل المتلقي ، ولم يكن فصل المكـــان عن الزمان أمراً ميسوراً بالنسبة للدراســــة ، فقـد كـابدت الدراسة وعانت الكثير وهي تجرؤ على فصل هذين التوأميـــن السياميين لأسباب منهجية ، وإذا كان التمثيل نافعا ، فإننا نمثــل لذلك بقطعة القماش الخام التي طبع الزمان على وجهها والمكان على قفاها ، ومن يريد مسح وجه وتظهير وجه إنما يتعيّن عليه طلس الطبعتين معا . .

ثم افترضنا (نظريا) مقولة الفصل ، فكـــان المكـــان هاجسا مدويا ، لوّن النصوص بألوانه ، أو لوّنتـــه النصـــوص بألوانها . .

وقد انشبك منتج " **بياض اليقين** " مع الـــهمّ الوجـــودي المركزي لعمله ، فوضع وكَدّه في المعنــــى بـــاعتداده البنيـــة الداخلية للمُنتَج ، مما عرّضته في تارات مشخصة إلى اعتمـــاد شعرية المعنى والتخلي عن شعرية المبنــى فالـــهم المركـــزي "**لبياض اليقين**" هو هتك الرموز التي وسّخت المكان ، وشوّهت مخلوقاته ، وشوشت الرؤية .. ، فـــالجرح العربـــي مطـــالب بالصراخ والاحتجاج . وكان المؤرخ ارنولد توينبي موقناً بـــأن الجسد العربي مشحون بطاقات تجعله عصيا على الموت والفناء فكانت نظريته المدوية (التحدّي والاستجابة) ولم يغفل توينبـــي دور الشعر العربي في توكيد الاستجابة وتصعيدها وتعزيزهـــا على مر الأزمنة العربية .. .

نصوص " **بياض اليقين** " صرخة احتجاج في وجه الظالم والمظلوم معاً .. فكلاهما يسهم في صناعة الظلم .. كل حسب دوره ، وقد تتبدل أصول اللعبة فيكون المظلوم ظالماً ..

ان الإيديولوجية في " **بياض اليقين** " تحذر الطيبين من مغبة ترك المكان دون مكين .. من مغبة انتظار المعجزة .. فالطيبون مسلوبون في المكان ، وهم الأكثر عرضة للأذى القادم مع المخلوقات غير المرئية التي تلوّث وتغتال وتعرّض دون ان تراها عين .. من هنا .. جاءت بعض الصياغات منسجمة مع طبائع النثر بيد انها لم تتخل عن المنجز الشعري...

وبعد :

ذلك هو المكان في " **بياض اليقين** " ومتونه وهوامشه وبعبارة أقرب إلى روح الدراسة : ذلك هو معطى قراءاتي المتعددة **ليقين البياض** .

عبد الإله الصائغ

صنعاء 10 / 7 / 1999

جريدة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

1 ــ الآلوسي . د حسام . الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم . طــب المؤسسة العربية لدراسات والنشر . بيروت 1980.
2 ــ ابن منظور . ابو الفضل جمال الدين محمد بــن مكــرم . لســـــان العرب طب دار صادر بيروت .
3 ــ ابو زيد . د نصر حامد . نقد الخطاب الديني . مط الفجر. القـــاهرة 1994 .
4 ــ ارسطو طاليس . فن الشعر . تر: د . عبد الرحمن بدوي. طــب دار الثقافة بيروت 1973 .
5 ــ اسبر . د . أمين :
1 ــ " **سفر الجنوب** " . طب دار المجد . دمشق 1996 .
2 ــ " **بياض اليقين** " .منشورات اتحاد الأدباء والكتـــاب اليمنييــن . طب دار علاء الدين ــ دمشق 1998.
6 ــ اصطيف . د . عبد النبي . نظرة في تحديث الأجناس الأدبية . مجلة الناقد . لندن . . العدد 8 فبراير 1989 .
7 ــ باشلار . غاستون . جماليات المكان . تر : غالب هلســا طــب دار الحرية . بغداد 1980 .
8 ــ باقر . طه . ملحمة جلجامش " ترجمة وتحقيق " . طب وزارة الثقافة والإعلام بغداد 1971 .

9 ــ البقاعي . د . شفيق . الأنواع الأدبية مذاهب ومدارس . طب مؤسسة عز الدين . بيروت 1985 .

10 ــ الجاحظ . ابو عثمان عمرو بن بحر . الحيوان . تح فوزي عطوي. بيروت . 1968 .

11 ــ الدميري . كمال الدين محمد بن عيسى . حياة الحيوان الكبرى . طب دار الألباب . دمشق / بيروت (د : ت) .

12 ــ الشنفرى. ديوانه . ضمن كتاب الطرائف الأدبية صناعة عبد العزيز الميمني الراجاكوتي . طب دار الكتب العلمية .

13 ــ الصائغ . د . عبد الإله :

1 ــ الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام . طب القاهرة 1996 .

2 ــ الصورة الفنية معياراً نقدياً . طب القاهرة 1996 .

3 ــ الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية . طب بيروت 1999.

4 ــ إشكالية القصة وآليات الرواية . طب طرابلس 1999 .

14 ــ الصكر . د . حاتم .

1 ــ ترويض النص . طب الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998.

2 ــ مرايا نرسيس (الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السّرد الحديثة) . طب المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر . بيروت 1999 .

15 ــ طرابيشي . جورج . معجم الفلاسفة . طب دار الطليعة. بيروت 1987 .

16 ــ الغذامي . د . عبد الله . القصيدة والنص المضاد . طب المركــز الثقافي العربي . بيروت 1994 .
17 ــ فخر الدين . جودت . الإيقاع والزمان . طــب دار المنــاهل ودار الحرف العربي بيروت 1995 .
18 ــ فريزر . سيرجيمس . الغصن الذهبي . تــر . أحمــد ابــو زيــد وصاحبيه . طب الثقافية مصر 1971 .
19 ــ لويس . انيتا كفن . نظرية الحب الحسي عند العرب . دراسة فــي تطور الجنس . طب نيويورك (غير مترجم) .
20 ــ مصطفى . إبراهيم وآخرون . المعجم الوســيط طــب اســتانبول بإشراف المجمع العلمي في مصر .
21 ــ المقالح . د . عبد العزيز . انظر مقدمته لديوان " **بياض اليقين** " .
22 ــ ميرهوف . هانز . الزمن في الأدب . تر . أســعد رزوق. طــب سجل العرب القاهرة . 1972 .
23 ــ وهبة . مجدي والمهندس كامل . معجم المصطلحات العربية فــي اللغة والأدب . طب مكتبة لبنان . بيروت 1979 .
24 ــ يحياوي . رشيد . قصيدة النثر مغالطات التعريف . مجلة علامــات السعودية مجلد 8 جزء 32 مايو 1999 .

المؤلف الدكتور عبد الإله الصائغ (الأعمال المطبوعة):

أ) كتب تحليل النص (نقد وبلاغة) : ـــــــــــــــــــ

1) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام . الطبعة الأولى ـ مطبعة كويت تايمس ـ الكويت ـ **1982** ـ الطبعة الثانية ـ دار الشؤون الثقافية بغداد **1986** م ـ الطبعة الثالثة ـ دار عصمي ـ القاهرة **1996** م .

2) الصورة الفنية في شعر الشريف الرضي (خطاب البلاغة وبلاغة الخطاب) طبعة دار الشؤون الثقافية ـ بغداد **1984** .

3) الصورة الفنية معياراً نقدياً ـ الطبعة الأولى ـ دار الشؤون الثقافية ـ بغداد **1987** م ـ الطبعة الثانية هيئة النشر المشترك ـ القاهرة ـ **1988** م الطبعة الثالثة ـ طبعة دار عصمي ـ القاهرة ـ **1996** م .

4) الإبداع الأدبي العربي بين الواقع والتوقع ـ طبعة الموسوعة الصغيرة ـ بغداد ـ **1988** م .

5) الخطاب الإبداعي الجاهلي والصورة الفنية (القدامة وتحليل النص) ـ طبعة المركز الثقافي العربي ـ بيروت / كازبلانكا ـ **1997** .

6) الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية (الحداثة وتحليل النص) ـ طبعة المركز الثقافي العربي ـ بيروت / كازبلانكا ـ **1998** م .

7) إشكالية القصة وآليات الرواية ـ طبعة دار النخلة ـ طرابلس ـ ليبيا ـ **1998** م .

8) بكائيات على مقام العشق النزاري (بالاشتراك مع الدكتور سعدون السويح) ـ طبعة مكتبة طرابلس العالمية ـ ليبيا **1998** م .

9 ـ دلالة المكان في قصيدة النثر **{ بياض اليقين لأمين اسبر أنموذجاً }**

ب) الكتب الإبداعية :

1 ـــ ديوان (عودة الطيور المهاجرة) ـــ طبعة الغري ـــ النجف ـــ العـــراق ـــ 1970م .

2 ـــ قصص أطفال (حالم بابلي) ـــ طبعة دار المعري ـــ بغداد ـــ العـــراق ـــ 1974م .

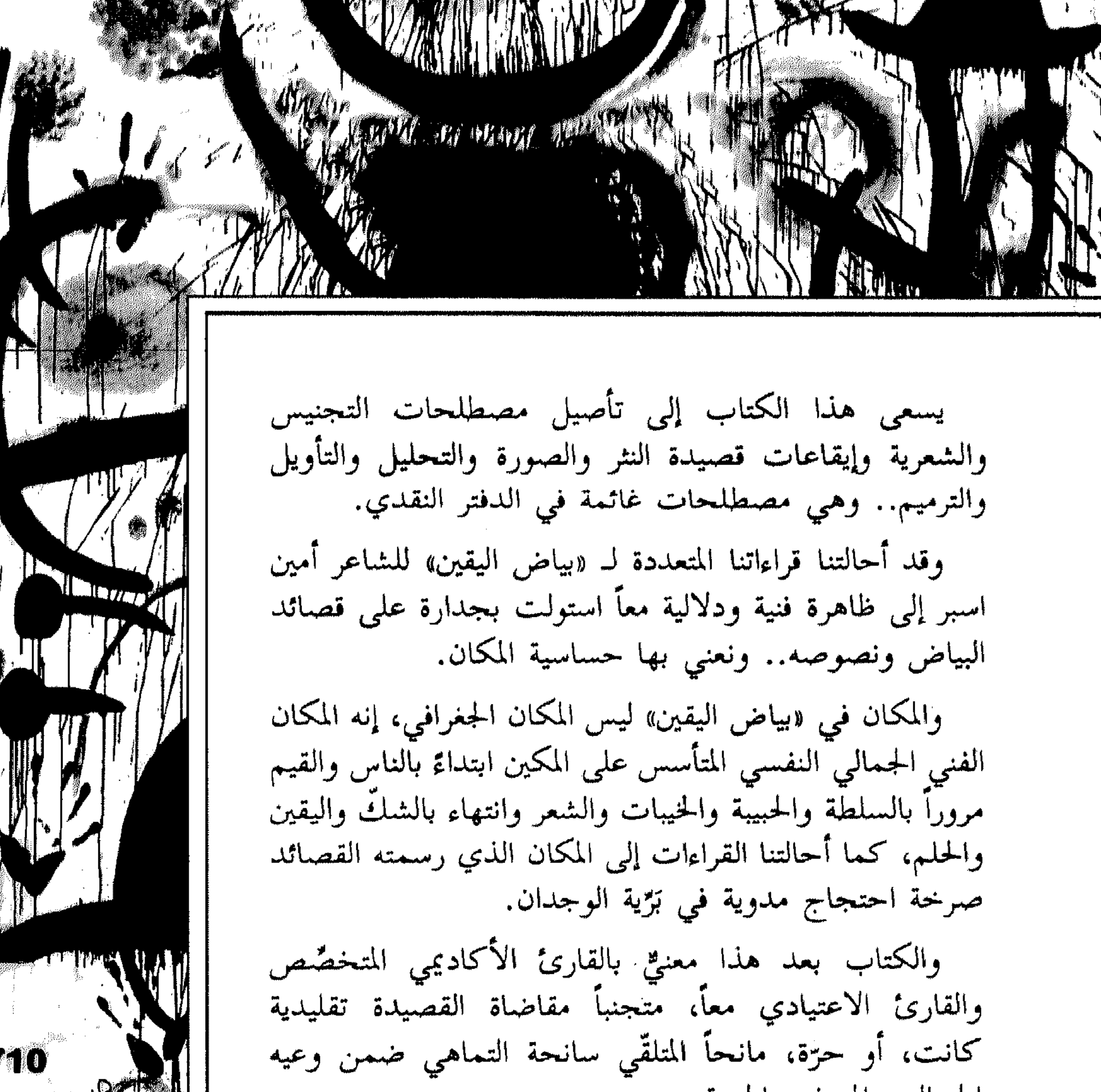
3 ـــ ديوان (هاكم فرح الدماء) ـــ طبعة دار الساعة ـــ بغداد ـــ العـــراق ـــ 1974م .

4 ـــ ديوان (مملكة العاشق) ـــ طبعة دار الشؤون الثقافية ـــ بغداد ـــ العـــراق ـــ 1980م .

5 ـــ ديوان (أغنيات للأميرة النائمة) ـــ طبعة دار الشؤون الثقافية ـــ بغداد ـــ العراق ـــ 1990م .

6 ـــ ديوان (سنابل بابل) ـــ طبعة دار الشروق ـــ عمان ـــ رام الله ـــ 1997م.

فهرس المحتويات



يسعى هذا الكتاب إلى تأصيل مصطلحات التجنيس والشعرية وإيقاعات قصيدة النثر والصورة والتحليل والتأويل والترميم.. وهي مصطلحات غائمة في الدفتر النقدي.

وقد أحالتنا قراءاتنا المتعددة لـ «بياض اليقين» للشاعر أمين اسبر إلى ظاهرة فنية ودلالية معاً استولت بجدارة على قصائد البياض ونصوصه.. ونعني بها حساسية المكان.

والمكان في «بياض اليقين» ليس المكان الجغرافي، إنه المكان الفني الجمالي النفسي المتأسس على المكين ابتداءً بالناس والقيم مروراً بالسلطة والحبيبة والخيبات والشعر وانتهاء بالشكّ واليقين والحلم، كما أحالتنا القراءات إلى المكان الذي رسمته القصائد صرخة احتجاج مدوية في بَرِّية الوجدان.

والكتاب بعد هذا معنيٌّ بالقارئ الأكاديمي المتخصِّص والقارئ الاعتيادي معاً، متجنباً مقاضاة القصيدة تقليدية كانت، أو حرّة، مانحاً المتلقّي سانحة التماهي ضمن وعيه الجمالي والمعرفي بالحرية.

المؤلف

To: www.al-mostafa.com